

جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإنسانية



الدور الاقتصادي لجماعة بني مـزاب بمدينة الجزائر خلال
العهد العثماني (1518-1830م / 924-1245هـ)

مذكرة مكّلة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الوسيط والحديث

الأستاذ المشرف:

د. بالحاج ناصر

الطالب:

يوسف بوسعدة

لجنة المناقشة

الرقم	الأستاذ	الصفة	الجامعة
01	د. محمد السعيد عقيب	رئيسا	جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي
02	د. ناصر بالحاج	مشرفا ومقررا	جامعة الحاج لخضر - باتنة 1
03	الجباري عثماني	عضوا مناقشا	جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي

السنة الجامعية 1436-1437هـ / 2015-2016 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكر وعرّفان

في مثل هذه اللحظات يتوقف اليراع ليفكر قبل أن يخط الحروف ليجمعها في كلمات، تتبعثر الأحرف وعبثاً أن نحاول تجميعها في سطور...

سطوراً كثيرة تمر في الخيال ولا يبقى لنا في نهاية المطاف إلا قليلاً من الذكريات وصور تجمّعنا بشموس كانت إلى جانبنا...

فواجب علينا شكرهم ووداعهم ونحن نخطو خطواتنا الأولى في غمار الحياة ونخص بجزيل الشكر والعرّفان إلى كل من أشعل شمعة في دروب عملنا وإلى من وقف على المنابر وأعطى من حصيلة فكره لينير دربنا إلى الأساتذة الكرام في قسم التاريخ.

ونتوجه بالشكر الخالص الجزيل إلى الدكتور ناصر بالحاج الذي تفضل بالإشراف على هذا البحث فجزاه الله عنا كل خير فله منا كل التقدير والإحترام. كما نتقدم بالشكر والعرّفان إلى...

المكتبة المركزية لمؤسسة الشيخ عمي سعيد - غرداية -

مركز الأرشيف الوطني - الجزائر -

جمعية التراث - غرداية -

الإهداء

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك ولا يطيب النهار إلا بطاعتك

إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة ... إلى نبي الرحمة ونور العالمين... سيدنا محمد ﷺ

إلى من كلله الله بالهيبة والوقار ... إلى من علمني العطاء بدون انتظار... إلى من أحمل اسمه بكل افتخار
... أرجو من الله أن يمد في عمرك لتري ثماراً قد حان قطافها بعد طول انتظار وستبقى كلماتك نجوم أهتدي بها
اليوم وفي الغد وإلى الأبد... أبي العزيز

إلى بسمه الحياة وسر الوجود ... إلى من كان دعائها سر نجاحي ... وحنانها بلسم جراحي ... إلى أغلى
الحبايب ... أُمي الحبيبة

إلى ملاكي في الحياة ... إلى التي سكنت روحي ... إلى شمعة متقدة تنير ظلمة حياتي... زوجتي عائشة.

إلى من أرى التفاؤل بعينه والسعادة في ضحكته ... أخي رستم

إلى رموز الحب والوفاء إلى اللاتي تطلعن لنجاحي بنظرات الأمل ... أخواتي

إلى من تحلّو بالإخاء وتميزوا بالوفاء والعطاء إلى ينايع الصدق الصافي ... إلى من كانوا معي على طريق
النجاح والخير...

شباب الوفاء، وأصدقائي عمر، حسان، قاسم، شعشوع، رياض، باحمد ...

قائمة المختصرات

1- باللغة العربية:

- أ.و.ج: الأرشيف الوطني الجزائري.

- س.ب: سلسلة البايك.

- س.م.ش: سلسلة المحاكم الشرعية.

- و: وثيقة.

- س: سجل.

- ع: علبة.

- ج: جزء.

- ط: طبعة.

- ص: صفحة.

- م: التاريخ الميلادي.

- ه: التاريخ الهجري.

2- باللغة الفرنسية:

- P: Page

- Op.cit.: Oper-Citato

- N: Numéro

مَقَامَة

مع مطلع القرن 16م حدث تحول كبير على مستوى مدينة الجزائر، حيث أضحت

مركزا حساسا في الضفة الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط، بسبب عوامل كثيرة من أهمها:

نزوح مسلمي الأندلس نحو سواحل شمال إفريقيا ، وتغير الخارطة السياسية فيها ببسط

الدولة العثمانية سيطرتها عليه، فأصبحت مدينة الجزائر منذ سنة 1519م عاصمة لإيالة

الجزائر العثمانية، والتي حملت على عاتقها مواجهة الحملات الصليبية لاسيما الاسبانية.

وقد أثرت هذه التغيرات السياسية والاجتماعية إيجابيا على النشاط الاقتصادي

لمدينة الجزائر، حيث أوجدت جوا ملائما لاستقطاب مختلف الشرائح الاجتماعية من

داخل الإيالة وخارجها للعمل وكسب الرزق.

وفي دراستنا الموسومة ب: «الدور الاقتصادي لجماعة بني مزاب بمدينة الجزائر

خلال العهد العثماني 1519-1830م» سنجاول تسليط الضوء على جماعة بني مزاب

الوافدة إلى مدينة الجزائر من وادي مزاب، وتأثيرها وإسهامها في اقتصاد مدينة الجزائر،

حيث أصبحت من ضمن الفئات الاجتماعية الهامة بالمدينة والمنضوية ضمن التنظيمات

الحرفية بها، إذ تميز أفرادها بعدة خصائص عرقية واجتماعية وعقدية وتربوية.

- دوافع اختيار الموضوع:

يعود اختياري للموضوع المذكور لأسباب كثيرة من بينها:

- ميّلي إلى هذا النوع من الدّراسات التّاريخية التي تهتم بنمط حياة الطبقة العامة للمجتمعات، سواء من الجانب الاقتصادي أو الاجتماعي أو الثقافي، بعيدا عن طبقة الحكام والساسة.

- طول الفترة الزّمنية التي قضاها آل عثمان في الجزائر والتي دامت نحو ثلاثة قرون، إذ تميزت هذه المدّة الزّمنية الطّويلة بنظم وأنشطة شملت كل المجالات خاصة الاقتصادي منها، والذي نرغب في استكشافه.

- كانت هنالك دراسات إلّا أنها شملت مجتمع مدينة الجزائر برمّته، وإن وجد هنالك تخصص في الموضوع المطروح فكان في فترة دون أخرى ، وهو ما سنحاول تغطيته في دراستنا.

- أهمية البحث:

تكمن أهمية هذا البحث في كونه يكشف دوافع منح السلطة العثمانية لبعض الجماعات بمدينة الجزائر خصوصيات في تنظيمها الاقتصادي، حيث كان لجماعة بني مزاب بعضا من هذا في ظل التنظيم الاقتصادي الساري بالمدينة، كما أن البحث يقوم على مقارنة اقتصادية للفئات الوافدة على مدينة الجزائر في الفترة العثمانية من خلال نموذج جماعة بني مزاب. كما تُبرز الدراسة الإسهامات الاقتصادية المهمة لجماعة بني مزاب على مستوى مدينة الجزائر، والعلاقات التي كانت سائدة بينهم وبين الجماعات الحرفية الأخرى بالمدينة، في ظل التعامل الاقتصادي وحاجة المجموعة إلى الأخرى.

- أهداف البحث:

من جملة الأهداف التي نرجو الوصول إليها من خلال هذه الدراسة:

- إبراز أسباب هجرة المزابيين من وادي مزاب ودوافع اختيارهم لمدينة الجزائر مكانا لاستقرارهم.

- الوقوف على طبيعة العلاقة التي كانت تجمع السلطة العثمانية بجماعة المزابيين بمدينة الجزائر.

- محاولة الوصول إلى العوامل التي ساهمت في فعالية النشاط الاقتصادي للمزابيين بمدينة الجزائر.

- التعرف على نوعية الأنشطة التي مارسها المزابيون بالمدينة، و سبب تميزهم في مجالات دون أخرى.

- محاولة استنتاج استراتيجيات اقتصادية سار عليها المزابيون في نشاطهم الاقتصادي بمدينة الجزائر، وهذا بعد تتبع مساهم الاقتصاد فيها.

- الدراسات السابقة:

لقد تمت معالجة مثل هذا الموضوع من طرف عدّة باحثين، و من بين أبرز هذه الدراسات نجد مذكرة دكتوراه ل عائشة غطّاس المعنونة بـ الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر (1700 - 1830م)، حيث كانت دراسة دقيقة للحياة الاقتصادية والاجتماعية بالمدينة، وقد تعرضت لجماعة بني مزاب وعلاقاتهم الاجتماعية بباقي الجماعات الحرفية بالمدينة، مع إبراز بعض نشاطاتهم الاقتصادية فيها دون أخرى وهو ما سنحاول تغطيته في دراستنا.

كما وجدنا دراسة أخرى أعدت ك رسالة ماجستير لم حمد وقاد تحت عنوان : جماعة بني مزاب وتفاعلاتها الاقتصادية والاجتماعية بمدينة الجزائر (1700-1830م)، حيث شملت كل النواحي الاقتصادية والاجتماعية وحتى السياسية لمزابيي مدينة الجزائر، وسنحاول أن نضيف بعض الجوانب الأخرى التي لم يتطرق إليها الباحث كاستراتيجيات المزابيين الاقتصادية بالمدينة.

كما كانت هنالك عدة مقالات تتحدث عن بعض الجوانب التي تخص موضوعنا، كمقال ليسباس (Lespés) المنشور بالمجلة الإفريقية في عددها السادس والستين، وكذلك مقالين للحاج موسى بن عمر بمجلة الحياة، والآخر لعمار بن خروف في مجلة الواحات الصادرة من جامعة غرداية، حيث كانت كتابات مهمة إلا أنها لم تكن متعمقة كثيرا في الجانب الاقتصادي للمزابيين.

ونفس الشيء نجده في بعض المؤلفات التي تناولت موضوعنا بشكل مختصر ككتاب تاريخ بني مزاب لصاحبه يوسف بن بكير الحاج سعيد، وعيسى النوري في مؤلفه دور المزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا في جزئه الأول، وكذلك وجدنا مؤلفات طرحت بعض الأفكار المهمة حول موضوعنا كمؤلفات ناصر الدين سعيدوني وأحمد توفيق المدني ومصطفى أحمد بن حموش، وكذلك بعض المؤلفات الأجنبية كدراسات شارل أمات (Charles Amat) ولوجي دو تاسي (Laugier De Tassy).

- اشكالية الدراسة:

ماهي أهم الأدوار الاقتصادية للمزابيين بمدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية (1519-1830م)؟ وماهي العوامل المساهمة في توطيد نشاطهم فيها؟

ومن خلال الإشكالية الرئيسية نطرح جملة من الأسئلة الفرعية، وهي كالتالي:

- من هم المزابيون؟ وما هي أسباب تواجدهم بمدينة الجزائر؟
- كيف كانت البنية التنظيمية الاقتصادية لمدينة الجزائر؟ وما موقع جماعة بني مزاب منها؟ وما هي العوامل التي ساهمت في توطيد اقتصاد المزابيين بمدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية؟
- ما هي نوعية الأنشطة الحرفية والخدماتية والتجارية التي مارسها المزابيون بمدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية؟
- المنهج:

وسنعمد في دراستنا لأجل الإجابة عن هذه التساؤلات المنهج التاريخي، الذي يعتمد بدوره على أسلوب الوصف والتحليل والذي يتناسب مع طبيعة المادة المطروحة.

- محتويات البحث:

بدأنا هذه المذكرة بمقدمة للموضوع ثم قمنا بتقسيمه إلى فصل مدخلي وثلاث فصول، استعرضنا في النهاية خاتمة للموضوع مع بعض الملاحق.

أما عن الفصل المدخلي فقد قسمناه إلى ثلاث مباحث، تحدثنا فيها عن نسب وأصل المزابيين وتنظيمهم الاجتماعي بوادي مزاب، وختمنا الفصل بأسباب هجرة المزابيين من وادي مزاب إلى مدن التل ودوافع اختيارهم لمدينة الجزائر.

وأما عن الفصل الأول فاخترنا تقسيمه إلى أربع مباحث، تحدثنا فيها عن التنظيم

الاقتصادي لمدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية وموقع جماعة بني مزاب منها، والعوامل

العسكرية والسياسية المساهمة في توطيد اقتصاد المزابيين بالمدينة.

وقد تناولنا في الفصل الثاني النشاط الحرفي والخدمات للمزابيين بمدينة الجزائر خلال

الفترة العثمانية، أين قسمناه إلى مبحثين الأول يتحدث عن النشاط الحرفي، أما الثاني فكان

خاصا بالنشاط الخدماتي.

وعن الفصل الثالث والأخير فكان تحت عنوان النشاط التجاري والاستراتيجيات

الاقتصادية للمزابيين بمدينة الجزائر، حيث قسم الفصل إلى ثلاث مباحث، عرضنا في الأول

تجارة المزابيين بمدينة الجزائر، أما الثاني فكان لـلتجارة الخارجية لمزابيي مدينة الجزائر، وقد

خصصنا المبحث الأخير لاستنتاج بعض الاستراتيجيات التجارية والاقتصادية للمزابيين

بمدينة الجزائر.

وقد ختمنا دراستنا بخاتمة تناولنا فيها عرضا للنتائج التي توصلنا إليها من خلال بحثنا.

- المصادر:

اعتمدنا في هذه الدراسة على جملة من الوثائق الأرشيفية سواء سجلات المحاكم

الشرعية أو سلسلة البايك، حيث أفادتنا في الكشف عن المهن التي مارسها المزابيون بمدينة

الجزائر، وبعض العقود والاتفاقات التي كانت مع السلطة العثمانية أو العامة.

كما اعتمدنا على بعض الوثائق المخطوطة مثل: « اتفاق بين القصور الخمسة بشأن المزايين بدار السلطان » الموجود بخزانة آل باحرز، حيث أفادنا في بعض الأعراف والقوانين السائدة على جماعة بني مزاب بمدينة الجزائر، وكذلك مخطوط « رسالة من أحد أعيان المدينة المزايين إلى السلطات الفرنسية » الموجود بخزانة عبد الرحمان حواش، إذ ساعدنا في إبراز العلاقة التي كانت تربط المزايين بالسلطة العثمانية في مدينة الجزائر.

أما عن أهم المصادر العربية فنذكر: قانون أسواق مدينة الجزائر لصاحبه عبد الله بن محمد الشويهد، حيث استفدنا منه كثيرا خاصة في العقود والاتفاقات وبعض الامتيازات التي كانت بين جماعة بني مزاب والسلطة العثمانية في مدينة الجزائر.

كما كان من بين المصادر المهمة أيضا، مذكرات وليام شالر القنصل الأمريكي في الجزائر وكتاب المرأة لحمدان خوجة، ومذكرات نقيب أشراف الجزائر لأحمد الشريف الزهّار التي عايش أصحابها الفترة المدروسة، واستطعنا من خلالهم إلقاء نظرة على الوضع الاقتصادي والسياسي الذي كان ساريا في الجزائر.

وكذلك كان للمصادر الأجنبية دورا مهما في دراستنا، خاصة فيما يتعلق بجماعة بني مزاب من الجانب السياسي والامتيازات الممنوحة لهم، ككتابات الأسير الإسباني ديبغو دو هايدو (Diego De Haëdo)، والجنرال داماس (Le Générale Daumas)، وأخيرا فونتير دو بارادي (Venture De Paradis).

- الصّعوبات:

لابد أن يصادف الباحث في التاريخ بعض المعوقات أو الصعوبات أثناء عملية بحثه،
أما على المستوى الشخصي فكان إشكالنا الأول ضيق الوقت مع حجم الدراسة الموجودة،
حيث كان بوجدنا أن نقوم بعمل أكثر تميزا مما قدمناه، بالإضافة إلى بعض الصعوبات في
التعامل مع الوثائق الأرشيفية.

فصل تمهيدي: بنو مـزاب وتواجدهم بمدينة الجـزائر

المبحث الأول:نسب المزابيين وأصلهم

المبحث الثاني: النظم الدينية والاجتماعية بهادي مزاب

المبحث الثالث: تاريخ استقرار المزابيين بالتلّ عموما، ومدينة الجزائر
خصوصا

فصل تمهيدي: بنو مزاب وتواجدهم بمدينة الجزائر

استطاع المزابيون أن يجعلوا من واديههم وطبيعته القاسية، واحة تستقطب إليها القبائل

المهاجرة، فعملوا على تطوير مجتمعهم من كل جوانب الحياة، ففي الجانب الاجتماعي

توصل المزابيون إلى ابتكار أنظمة فريدة تسهر على تنظيم خلايا المجتمع، كما عملوا على

تطوير اقتصاد يضمن حياة كريمة لأفراده، فالاقتصاد يعتبر عصب كل المجتمعات، فبقوته

تضمن استمراريتهما بإيجاد موارد مالية لأنظمتهم، وبضعفه تنتشر الآفات الاجتماعية والرذيلة

وتتوقف الأنشطة الاجتماعية والتربوية والاقتصادية، فحينها سيزول ذلك المجتمع، ولهذا شهد

المجتمع المزابي هجرة إلى مدن الشمال لمزاولة الأنشطة التجارية فيها بحيث تضمن له حياة

رغيدة ومتوازنة.

فمن هم بنو مزاب؟ وما طبيعة النظام الاجتماعي عندهم؟ وما دوافع تواجدهم في مدن

التل، وبالأخص مدينة الجزائر؟

المبحث الأول: نسب المزابيين وأصلهم

1- نسبهم:

يجد المؤرخون صعوبة في تحديد نسب الشعوب بشكل دقيق ومفصل، وهذا نظرا

للظروف التاريخية والاجتماعية والسياسية التي يشهدها العالم عبر العصور، والمزابيون هم

أحد تلك المجتمعات الذين اختلف المؤرخون في تحديد نسبهم، حيث يعتبر ابن خلدون

المؤرخ الوحيد الذي ذكر نسبهم بتدقيق وتفصيل¹، فيرى أن بني مزاب فرع من فروع قبيلة

زناتة الأمازيغية، وهم يتقرعون من بادين مع إخوانهم بنو عبد الواد وبنو توجين وبنو زردال،

فيقول: «وسكانها لهذا العهد شعوب بني بادين من بني عبد الواد وبني توجين ومصاب وبني

¹ - إبراهيم بحاز: المزابيون المعتزلة، مجلة الحياة، العدد 1، جمعية التراث، غرداية، 1998م، ص 124.

فصل تمهيدي: بنو مزاب وتواجدهم بمدينة الجزائر

زردال فيمن انضاف إليهم من شعوب زناتة، وإن كانت شهرتها مختصة بمصاب»¹، وهذا ما ذهب إليه بعض المؤرخين على غرار إسماعيل حميت²، ولكن المتعقب للعائلات المتساكنة بوادي مزاب، يلاحظ أن هنالك من العائلات من تعود أصولها إلى عدة مناطق في شمال إفريقيا على غرار العائلات المزابية الأصلية، ولابأس أن نذكر بعضا منها وهي كالتالي:

- « أولاد علي بن يزيد» قدموا من مدينة بسكرة، وقد استقروا بوادي مزاب، ولم نجد مكان استقرارهم بالضبط³.
- « أولاد عبد الله» و « وبابا عيسى العلواني» ترجع أصولهم إلى المغرب وقد سكنوا قرى وادي مزاب⁴.
- « أولاد عمي عيسى» وهم قوم من نفوسة⁵، وقد نزلوا ببني يزقن وبعضهم بمدينة غرداية⁶.
- « أولاد أبي ميسور» وفدوا من جربة ونفوسة وتيهرت وقد استقروا بالعطف⁷.
- « أولاد إسماعيل» يعود أصلهم إلى وادي ريغ ونفوسة وجربة وقد نزلوا بوادي مزاب⁸.
- « أولاد يحيى» وأصلهم من توات⁹، وقد استقروا بالعطف وبريان أيضا¹.

¹ - عبد الرحمن ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون المسمى بديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبو، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2000م، ج7، ص80؛ مبارك الملي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم محمد الملي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ج2، ص214.

² -Esmâel Hamet: Histoire du Maghreb, Editions Ernest Leroux, Paris, 1923, p.09.

³ -محمد بن يوسف اطفيش: الرسالة الشافية، مخطوط بمكتبة الشيخ عمي سعيد، طبعة حجرية، 1326هـ، ورقة 33.

⁴ -نفسه، ورقة 39.

⁵ -نفوسة: جبال في المغرب بعد إفريقية عالية نحو ثلاثة أميال، وطول هذا الجبل مسيرة ستة أيام من الشرق إلى الغرب، ويبعد عن طرابلس نحو ثلاثة أيام؛ ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977، م5، صص 296-297.

⁶ - محمد بن يوسف اطفيش: المرجع السابق، ورقة 39.

⁷ -نفسه، ورقة 40.

⁸ - Ibid, p p.384-385.

⁹ - توات: هو عبارة عن إقليم يتوسط الجهة الغربية من الصحراء الكبرى التي ينتمي إليها ، ويقع في الجنوب الغربي للجزائر، ويتشكل من ثلاث وحدات أساسية وهي: تينجورارين، توات الوسطى، تيدكلت ؛ بودواية مبخوت: الحركة العلمية =

فصل تمهيدي: بنو مزاب وتواجدهم بمدينة الجزائر

ولقد استقرت هذه العائلات بوادي مزاب وجمعت شتاتهم المصلحة المشتركة، وانصهروا في بوتقة واحدة بفضل نواة الدين، ومن الأسباب التي جعلت م ثل هذه العائلات تَقْدُ نحو وادي مزاب، نجد:

- هجرات الإباضية إلى وادي ريغ بعد سقوط الدولة الرستمية سنة 296هـ/909م ثم إلى وادي مزاب لاحقاً، إذ كان الفضل لدعوة أبي عبد الله بن محمد بن بكر الفرسطائي² في تحول بني مصاب من المذهب المعتزلي إلى المذهب الإباضي³، حيث يذكر الدرجيني ذلك قائلاً: «بلغنا أنَّ أبا عبد الله كان يخرج للحلقة في أوان الربيع إلى بوادي بني مصعب لمآرب (...) فعمت عليهم بركته فرجعوا إلى دين الحق»⁴.
- هجرة بني هلال⁵ وزحفهم إلى شمال إفريقيا سنة 441هـ/1049م⁶، ومحاربتهم لبني واسين من بني مرين وعبد الواد وتوجين في منطقة الزاب والمغرب الأوسط، ما أدى بإزاحتهم إلى صحراء المغرب الأوسط إلى وادي مزاب وجبل راشد⁷.

=في إقليم توات خلال القرن 10-08 هـ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، قسم التاريخ، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2011-2012م، ص11.

¹ - محمد علي دبوز: نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ط1، المطبعة التعاونية، القاهرة، 1965م، ج1، ص 167.

² - أبو عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي: كان أبوه وجده من علماء جبل نفوسة، درس على مشايخ الجبل ثم سافر إلى جربة وبعض المدن المجاورة، وبنى مسجداً ببلدته فرسطاء بجبل نفوسة، توفي سنة 440هـ بتينسلي (بلدة اعمر اليوم)؛ أبو العباس الدرجيني: طبقات المشايخ بالمغرب، تحقيق إبراهيم محمد طلاي، ط2، ج2، ص213.

³ - للمزيد ينظر الفصل المدخلي، المبحث الثاني.

⁴ - أبو العباس أحمد الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص184-185.

⁵ - بنو هلال: يعود أصلهم إلى هلال بن عامر بن صعصعة بن قيس بن عيلان بن مضر، وترجع أوطانهم إلى بسانط الطائف إلى جبل غزوان شرقي مكة؛ أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي: جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط5، دار المعارف، القاهرة، 1982، ج2، ص272؛ مبارك الملي: المرجع السابق، ص178-179.

⁶ - نفسه، ص188.

⁷ - عبد الرحمن ابن خلدون: المصدر السابق، ج7، ص84.

2- مدلول كلمة « مزاب »:

تعددت آراء المؤرخين واختلفت حول مدلول كلمة «مزاب»¹، والراجح من الأقوال أن كلمة «مزاب» هي تحريف لاسم القبيلة الأمازيغية «مصاب»² بالصاد المهملة أو «مضاب» بالضاد المنقوطة³، وقد حوّل حرف الصاد إلى حرف الزاي لتقارب المخارج بينهما⁴، فبدل أن يطلق على المزابين بـ «مصاب» غير إلى «مزاب».

3- مواطن وقرى بني مزاب:

يتواجد المزابيون ببلاد الشبكة منذ أزمنة بعيدة تعود إلى خمسة آلاف سنة قبل الميلاد⁵، فهم السكان الأصليون الأوائل بالمنطقة⁶، وقد اشتهرت المنطقة باسم هم أي وادي مزاب، وتعرف هذه المنطقة أيضا ببلاد الشبكة لأنها تتخللها أودية عديدة، فهي عبارة عن هضبة صخرية تقع شمال صحراء الجزائر⁷، أما عن مساحتها فتبلغ ثمانية آلاف كلم²¹،

¹ - بعض المؤرخين يكتبون كلمة «مزاب» بزيادة حرف الياء بعد حرف الميم، هكذا: «ميزاب» ولكن الأصح هو «مزاب» وكما تكتب بالفرنسية «MZAB»، وأثناء دراستنا هذه سنعتمد على كلمة «مزاب» دون زيادة حرف الزاي، أما أقوال المؤرخين فستنقل كما هي للأمانة العلمية.

² - عبد الرحمن ابن خلدون: المصدر السابق، ج2، ص214.

³ - زكرياء مفدي: أضواء على وادي ميزاب ماضيه وحاضره، تحقيق إبراهيم بحاز، ط1، منشورات ألفا، الجزائر، 2010م، ص61.

⁴ - علي يحيي معمر: الإباضية في موكب التاريخ، مراجعة الحاج سليمان بابيز، ط3، مكتبة الضامري، سلطنة عمان، 2008م، ص312.

⁵ - Salah Bafouloulou: Ghardaia La mysterieuse, Imprimerie des Oasis, 2013, p.06.

⁶ - بكير بن سعيد أعوش: مزاب يتكلم تاريخيا وعقائديا واجتماعيا، المطبعة العربية، غرداية، 1993، ص43.

⁷ - مختار حساني: موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية (مدن الجنوب)، ط2، دار الحكمة، الجزائر، 2012م، ج2، ص210.

فصل تمهيدي: بنو مزاب وتواجدهم بمدينة الجزائر

بحيث تبعد عن مدينة الجزائر على مسيرة عشرين يوما² أو بالتقدير الحالي بـ 600 كم³. وقد استطاع بنو مزاب أن يحولوا تلك الصحراء إلى بساتين ومزارع وأسسوا بها القرى الأولى على غرار « أغرم نتلزصيت » أو مدينة الصوف، ثم بعد ذلك حدث تطور وتوسع في الجانب العمراني فأسسوا القرى الحالية المعروفة بوادي مزاب⁴، وهي كالتالي:

• **العطف «تاجنيت»:** ونعني بها المكان المنخفض، وقد تأسست سنة 402هـ/1012م

على يد خليفة بن أبغور، وقد تواجد أهل العطف قبل تأسيس هذا القصر في قرية

أخرى بالجوار تسمى بـ: «أغرم نتلزصيت» أي قرية الصوف⁵.

• **بنورة «آت بنور»:** تأسس قصر بنورة سنة 457هـ/1065م فوق ربوة صخرية

منيفة⁶.

• **غرداية «تغردايت»:** وتعني الكلمة القطعة المستصلحة الواقعة على حافة الوادي، وقد

تأسس قصر غرداية سنة 477هـ/1085م⁷.

¹- عثمان الكعاك: موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي، تقديم ومراجعة أبو القاسم سعد الله وآخرون، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003م، ص302.

²-وليام شالر: مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر، تعريب إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م، ص 110.

³-Salah Bafouloulou: Op.cit., p.07.

⁴ - حمو محمد عيسى النوري: دور المزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا، مطبعة البعث، م1، ص ص 56 - 57.

⁵ - محمد بن يوسف اطفيش: المرجع السابق، ورقة 38.

⁶ - Salah Bafouloulou: Op.cit., p.09.

⁷-يوسف بن بكير الحاج سعيد: تاريخ بني مزاب (دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية)، ط3، المطبعة العربية، غرداية، 2014م، ص 17.

فصل تمهيدي: بنو مزاب وتواجدهم بمدينة الجزائر

- **بني يزقن «آت يزجن»:** تأسس سنة 720هـ/1321م، وأصل المدينة «تافيلالت» ولا يزال هذا الاسم يطلق على أول أحياء المدينة في الجزء الأعلى منها.
- **مليلة «أتمليشت»:** تعود تسميتها إلى قبيلة «مليكش» الأمازيغية المنتشرة في شرقي الجزائر والتي وفدت إلى وادي مزاب¹، وقد تأسست سنة 756هـ/1355م² وهي آخر المدن الخمس بوادي مزاب³.
- فهذه هي القرى الخمسة الموجودة بوادي مزاب، وقد تم تأسيس قريتين إضافيتين خارج الوادي خلال الفترة الحديثة وهما:
- **القرارة:** التي أسست سنة 1040هـ/1631م، وقد أنشأت خارج وادي مزاب وبالضبط بواد زقير.
- **بريان «آت برقان»:** أنشأت سنة 1101هـ/1690م، وقد أنشئت شمال وادي مزاب⁴.

¹ - نفسه، ص 18.

² - Salah Bafouloulou: Op.cit., p.12.

³ - محمد بن يوسف اطفيش: المرجع السابق، ورقة 35.

⁴ - Salah Bafouloulou: Op.cit., p.16.

المبحث الثاني: النظم الدينية والاجتماعية بوادي مزاب

بعد انتشار الإسلام بوادي مزاب ، وحسب الروايات التاريخية ف إن أول المذاهب الإسلامية التي اتبعها المزابيون هو المذهب المعتزلي¹، حيث كانت للمزابيين المعتزلة صراعات ومعارك مع أتباع المذهب الإباضي بتيهت² ونواحيها³.

ومع مطلع القرن الخامس الهجري (ق 5هـ/11م) حدث تحوّل تدريجي لبني مزاب من المذهب المعتزلي إلى المذهب الإباضي، بفضل العالم الإباضي الداعية أبو عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي، إذ كان يأتي في فصل الربيع من وادي ريغ ووارجلان إلى وادي مزاب بغرض إيجاد حل لقضايا اللاجئين من فلول رعايا الدولة الرستمية⁴، حيث كلف بهذه المهمة

¹ - المعتزلة: من المذاهب الإسلامية المشهورة وإمامهم واصل بن عطاء، و تعتمد عقيدتهم على أصول خمسة خالفوا فيها أهل السنة، كنفي الصفات وإثبات خلق القرآن ونفي رؤية الله تعالى يوم الآخرة؛ محمد العبد، طارق عبد الحليم: المعتزلة بين القديم والحديث، ط1، دار الأرقم، برمنغهام، بريطانيا، 1997، ص44.

² - تيهت: كانت أشجارا ملتقة يسكنها أنواع السباع والوحوش، وكانت ملكا لقبيلة أمازيغية، ثم اتفق الإباضية أن يبنوا فيها مدينة تكون موطننا وحصنا لهم ؛ أبو العباس أحمد الشماخي: كتاب السير، تحقيق محمد حسن، ط 1، دار المدار الإسلامي، ليبيا، 2009م، ج2، ص 365.

³ - محمد بن يوسف اطفيش: المرجع السابق، ورقة 38.

⁴ - قامت الدولة الرستمية سنة 160هـ على يد عبد الرحمن بن رستم الفارسي، حيث كانت الدولة قوية ذات بأس وسلطان عاصرت بني الأغلب بإفريقية والأدارسة بالمغرب الأقصى، ويرأس الدولة الرستمية إمام يلقب بأمر المؤمنين، بيده مقاليدها وتصاريق أمورها، ينتخبه وجوه المدينة وزعماء المذهب وشيوخ الدين بحرية تامة، وقد سقطت الدولة على يد العبيديين بقيادة أبي عبد الله الشيعي الذي وضع حدا لتاريخ وحضارة الرستميين واتخذها منطلقا في هجومه على سجلماسة؛ إبراهيم بكر بحاز: الدولة الرستمية 160-296هـ/ 777-909م (دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية)، منشورات ألفا، الجزائر، 2010م، ص ص 277-279.

فصل تمهيدي: بنو مزاب وتواجدهم بمدينة الجزائر

في مؤتمر أريغ¹ سنة 420هـ²، وبفضل دعوته تحوّل بعض المزابيين إلى المذهب الإباضي³، فبذلك انعقد المؤتمر ثانية فاتفق الرأي على نشر المذهب في هذا الوطن وتعميره بما يصلح سكانه المعتزلة من العلم والألفة وحسن الجوار⁴، ولم تكن استجابة بني مزاب للداعية أبي بكر بالأمر السهل، حيث قاموا بقتل أحد أبنائه وهو المدعو إبراهيم، ولم تكن استجابتهم استجابةً جماعية فورية بل ظل العديد من المزابيين موفّين لاعتزالهم⁵، ونتيجة لهذا التحوّل التدريجي في المذهب والألفة بين الإباضية والمزابيين⁶، تكاثرت الوفود إلى بادية بني مزاب من أهل سدراتة ووارجلان لما أصابهم الجفاف والقحط في بلادهم⁷.

وكان من ثمار هذا التلاقح الحضاري بين سكان منطقة مزاب وبين الوافدين من مختلف مواطن الإباضية، أن أخذت الروابط الفكرية والثقافية تزداد قوة، حيث تمّ إنشاء

¹ - أريغ: وهي منطقة تقرت حاليا وتقع شرق الجزائر، ويرى بعض المؤرخين أن المؤتمر انعقد بسدراتة التي تحولت إلى عاصمة للإباضية بعد سقوط تيهرت وهي بالقرب من وارجلان حاليا ؛ مجموعة من الباحثين: معجم مصطلحات الإباضية، ط2، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012م، ج1، ص 28.

² - إبراهيم مطياز: تاريخ مزاب، مخطوط بحوزة عائلة المؤلف بقصر بني يزقن، ورقة 71-72.

³ - أبو زكرياء يحيى بن أبي بكر: كتاب سير الأئمة وأخبارهم، تحقيق إسماعيل العربي، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1979م، ص 175.

⁴ - يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص 20.

⁵ - نفسه، ص 21.

⁶ - علي يحيى معمر: الإباضية في الجزائر، تصحيح أحمد أوبكة، المطبعة العربية، غرداية، ج2، ص 436.

⁷ - نفسه، ص 434.

قصور مزاب الخمسة، وأصبح المجتمع المزابي أكثر تنظيمًا أشرفت عليه هيئة أطلق عليها حلقة² العزابة³.

1- حلقة العزابة ودورها في المجتمع المزابي:

تميز المجتمع المزابي الإباضي على غيره من المجتمعات بتنظيمه الاجتماعي، حيث أشرفت عليه هيئة تعرف بـ: «حلقة العزابة»⁴، فهي السلطة المكلفة بتسيير شؤون المجتمع المزابي في داخل وخارج البلدة⁵، فكان لها مهام دينية واقتصادية وسياسية، وكذا اجتماعية⁶ يمكن أن نوضحها بإيجاز فيما يلي:

¹ يحي بوراس: العمارة الدفاعية في منطقة وادي مزاب (نموذج قصر بني يزقن)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، قسم علم الآثار، جامعة الجزائر، 2001-2002م، ص8.

² الحلقة: معروفة في المصادر اللغوية العربية وهي من الاستدارة، وأما اصطلاحا فهي اسم لجماعة تشتمل على الشيخ يعلمهم العلم، ويلقنهم السير، ويبصرهم في الدين، بحسب ما يفتح الله على كل واحد منهم ؛ مجموعة من الباحثين: معجم مصطلحات الإباضية، المرجع السابق، ج2، ص697.

³ نفسه، ج3، ص 1018.

⁴ العزابة: الهيئة العليا الدينية في البلد، كما هي في البلاد الإباضية (جميع المجتمعات الإباضية بالمغرب) ولها نفوذ روحي واسع النطاق على العامة، وله السلطة المطلقة في كل ماله علاقة في الدين، وبعبارة أخرى هي الهيئة الشرعية القائمة مقام الإمامة العظمي بعد انقراض الدولة الرستمية. ولهيئة العزابة كذلك السلطة على الحياة الاجتماعية والتربوية؛ دليلة خبزي: الآراء الكلامية لأبي يعقوب الوريثاني، ط1، مكتبة مسقط، عمان، 2009، ص26.

⁵ محمد ناصر: حلقة العزابة ودورها في بناء المجتمع المسجدي، دار النصر للطباعة الإسلامية، القاهرة، 1990م، ص13.

⁶ يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص 30.

فصل تمهيدي: بنو مزاب وتواجههم بمدينة الجزائر

- **المهام الدينية:** كانت حلقة العزابة تشرف على الوظائف الدينية للمسجد كالمفتي

والإمام والمؤذن وناظر الأوقاف ومؤدب الصبيان وغسلة الأموات، وتؤدي الحلقة عناية

خاصة بمهمة الوعظ والإرشاد بالمواظبة المستمرة عليهما في كل وقت¹.

- **المهام الاقتصادية:** حلقة العزابة دور في فض النزاعات الإقتصادية ومراقبة

الأسواق²، فإن وقع تنازع أو مشادات في المعاملات بالسوق، فإن الفقيه من العزابة يتولى

الحكم والإفتاء في نفس المكان ولا يُردّ حكمه، كما كان للحلقة في أسواق مدن مزاب مقاعد

خاصة للإشراف على الواردات والسلع المجلوبة واستقبال القوافل من أطراف الصحراء، وكان

رئيس العزابة هو الذي يعلن بواسطة المنادي بافتتاح السوق.

- **المهام السياسية:** كانت تشرف حلقة العزابة بوادي مزاب على الشؤون السياسية في

البلد كعقد المعاهدات والتحالفات مع القبائل³، كما كانت تحمل على عاتقها مهمة الدفاع عن

كيان المجتمع ضد التدخلات الأجنبية وتهيئة الجيش، فبذلك أصبحت حارسة المجتمع في

حالات السلم والحرب والأمن والفتن والإضطرابات⁴.

- **المهام الاجتماعية:** تقوم حلقة العزابة بالقضاء في المشاكل والنزاعات بين

الخصوم⁵، فهم يحرصون على تنظيم العلاقات الاجتماعية بين الأفراد، بالتدخل والمواكبة

¹- زاهر الحجري: الإباضية في الغرب الإسلامي، ط1، مكتبة الجيل الواعد، عمان، 2012، ص ص 158-159.

²- دليلة خيزي: المرجع السابق، ص 27.

³- حمو محمد عيسى النوري: المرجع السابق، م1، ص ص 169-170.

⁴- زاهر الحجري: المرجع السابق، ص 166.

⁵- حمو محمد عيسى النوري: المرجع السابق، ص ص 169-170.

فصل تمهيدي: بنو مزاب وتواجدهم بمدينة الجزائر

المستمرة لحركة المجتمع، سواء في أفراحه أو أتراحه، فأعضاء الحلقة هم بمثابة الركيزة والعمود الفقري للمجتمع المزابي بحيث لا تجد تظاهرة اجتماعية إلا وتتم بحضورهم¹.

ولقد كان لكل قصر من قصور مزاب حلقة عزابة خاصة بهم²، وتتكون من اثني عشر عضواً³، حيث يُختار من كل عشيرة⁴ في القصر قدر ما ينوبها من الرجال، شرط أن يكون متخرجاً في دار التلاميذ (إِرْوَانْ)، وإلا فإنه يُختار من هيئة (إِمَصُورْدَانْ) أي أصحاب المحاضر (الزاوية) لا سواهم⁵.

ويجب على الذين يُنضمّون إلى الحلقة أن يكونوا أصحاب عمل أو حرفة، حتى يضيفوا على مهمتهم صفة النزاهة والقناعة والتعفف⁶، كما يجب أن يكون متعلماً، وتقياً وورعاً، وله النية في العمل خالصة لله⁷.

وتجدر الإشارة، إلى أن حلقة العزابة كانت على علاقة دائمة مع الجماعة المزابية في مدن التل خاصة خلال الفترة العثمانية⁸، إضافة إلى هذا فإن قرى وادي مزاب قد أسست مجلس يسمى بـ: « مجلس وادي مزاب »، والذي كان يعقد في أول الأمر بمقبرة «باعد

¹ - زاهر الحجري: المرجع السابق، ص 161.

² - يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص 28.

³ - وليام شالر: المصدر السابق، ص 111.

⁴ - العشيرة: هي وحدة اجتماعية ينحدر جميع أعضائها من جد واحد ينتسبون إليه؛ محمد ناصر: الشيخ القرايحي حياته وآثاره، المطبعة العربية، غرداية، 1990م، الحلقة الأولى، ص ص 55-57.

⁵ - يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص 28.

⁶ - محمد ناصر: حلقة العزابة ودورها في المجتمع المسجدي، المرجع السابق، ص 15.

⁷ - أبو عمار عبد الكافي: سير الحلقة، مخطوط بمكتبة الشيخ عمي سعيد، غرداية، الطبعة الحجرية، وجه 91- ظهر 92.

⁸ - يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص 69.

فصل تمهيدي: بنو مزاب وتواجدهم بمدينة الجزائر

الرحمان الكرثي¹ ثم أخذ ينعقد في عدة أماكن مختلفة حسب الظروف، فهذا المجلس يشرع الأحكام في الجرائم والجنايات والمعاملات كما يضع اللوائح التي تخص حياة مزاب العامة².

¹ - باعبد الرحمان الكرثي: هو عبد الرحمن الكرثي المصعبي، من علماء وادي مزاب في القرن السادس الهجري، وقد تتلمذ على يد الشيخ أبي العباس أحمد بن محمد بن بكر ؛ مصطفى بن صالح باجو وآخرون: معجم أعلام الإباضية من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر، مراجعة محمد صالح ناصر، طبعة خاصة، عالم المعرفة، الجزائر، 2009، ج2، ص 245.

² - ابراهيم بن بثمان: رحلة المصعبي، تحقيق يحيى بن بهون حاج المحمد، ط1، مطبعة MPS، غرداية، 2006م، ص 20.

المبحث الثالث: تاريخ استقرار المزابيين بالتلّ عموماً، ومدينة الجزائر خصوصاً

عرفت بلاد بني مزاب حركة سوسولوجية غير اعتيادية، بهجرة ثلث سكانها من

الرجال إلى مدن التلّ (شمال المغرب الأوسط) وبشكل خاص إلى مدينة الجزائر¹، وقد

اختلفت الآراء حول زمن تواجدهم بالمدينة، فتذكر رسالة باسم التجار المزابيين ببابلك

التيطري بالمدينة إلى السلطات الاستعمارية الفرنسية حيث تقول: « فنحن بنو مزاب على ما

نسمع من أوائلنا أنهم دخلوا مدينة الجزائر مع الترك في يوم واحد»². أما حنفي هلايلي فيرى

أنهم تواجدوا في مدينة الجزائر منذ القرن الرابع عشر ميلادي أي قبل مجيء الأتراك

العثمانيين³، وهو ما يدفعنا للقول بأن هجرة بني مزاب إلى مدينة الجزائر تزامنت مع دخول

الأتراك العثمانيين إليها.

ويبدو أن هجرة المزابيين إلى مدن التلّ كان فيها نوع من التنظيم⁴، حيث اختصت

بعض القصور بالهجرة إلى مدن على غرار مدن أخرى في التلّ، فعلى سبيل المثال مدينة

الجزائر -وهي موضوع دراستنا- كان يَفْدُ إليها سكان قرى العطف وبنورة ومليكة وبريان، أما

بقية القرى فكانت تتجه إلى مدن أخرى كقسنطينة وسطيف وتيارت⁵، وهذا لا يعني أيضاً أن

مزابي قصر غرداية مثلاً لم يكونوا متواجدين بمدينة الجزائر، ولكن الأغلبية كانت من

¹ - Charles Amat : Le M'zab et Les M'zabites, librairie coloniale, Paris, 1888, partie 1, p. 203.

² - مجهول: رسالة من أحد أعيان المدينة المزابيين إلى السلطات الفرنسية، مخطوط بمكتبة السيد عبد الرحمن حواش، ملف occupation، رقم 1324/1.

³ - حنفي هلايلي: أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، دار الهدى، الجزائر، 2008م، ص 189.

⁴ - عائشة غطاس: الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830م (مقاربة اجتماعية اقتصادية)، منشورات ANEP، 2007، ص 30.

⁵ - يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص 53.

فصل تمهيدي: بنو مزاب وتواجدهم بمدينة الجزائر

القصور المذكورة، ولقد صُنِّفت جماعة بني مزاب بمدينة الجزائر مع الجماعات البرانية، وذلك راجع لاستمرار ارتباطهم بمنطقتهم وادي مزاب¹.

1- دوافع هجرة المزبيين إلى التل:

لابد أن يكون وراء هجرة المزبيين من بلدهم إلى بلد آخر، وتركهم لعيالهم وأهاليهم أسباب دفعتهم لذلك، وقد حاولنا أن نجمل هذه الأسباب فيما يلي:

- تعتبر منطقة بلاد الشبكة من المناطق الطاردة للسكان، وهذا لفقرها وقلة إمكانات العيش فيها، وبالتالي كانت هجرتهم هجرة اضطرارية وضرورية².
- طبيعة المنطقة القاسية لقلة الأمطار وندرتها، وقد ذكر وليام شالر ذلك قائلا: « أن هذه البلاد [وادي مزاب] لا تكاد تعرف هطول الأمطار إلا في النادر، فسكانها يشربون من مياه الينابيع»³.
- لم تعد الفلاحة تضمن للمزابي الذي يقتصر نشاطه عليها مستوى معيشيا مقبولا، بسبب مشاكل الرّي وإنهاك التربة، فمثل هذه الظروف جعلت من الواحات بؤرا للاغتراب⁴.

¹ - Diego De Haëdo: Topographie et Histoire Générale d'Alger, imprimé à valla dolid, 1612, p. 196.

² - حنفي هلايلي: المرجع السابق، ص 188.

³ - وليام شالر: المصدر السابق، ص 111.

⁴ - يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص 52.

فصل تمهيدي: بنو مزاب وتواجدهم بمدينة الجزائر

- تزايد الكثافة السكانية بالمنطقة مقارنة مع مردودية الزراعة ، التي أخذت تتضاءل بسبب الجفاف الذي صار يتوالى في سنوات متتالية ومترابطة، مما جعل بني مزاب يفكرون في موارد أخرى للعيش¹.

- كان هنالك دافعا آخر يدفع المزابيين بالهجرة إلى مدن التل وهم مجبورون على ذلك، فقد وضعت حلقة العزّابة في شهر شوال سنة 1052هـ / 1643م، اتفاقا يقضي أنّ كل من يخالف الأعراف الشرعية والقوانين العامة سوف يطرد مجبرا إلى خارج منطقة واد ي مزاب²، ومن بين المخالفات التي تستحق النفي، نجد: الزنا والسرقة، وأحداث الشغب في الأسرة أو الاعتداء على الغير³.

ولذا يمكن أن نقول أن المزابيين هاجروا إلى مدن التل للبحث عن لقمة عيش لم تتوفر ببلدهم فحاولوا أن يجدوها في تلك المدن، وبذلك رأينا المزابيين يمارسون كل أنواع التجارة والحرف والوظائف الممكنة التي تُدرّ عليه مالا يكفله ويكفل به عياله⁴، ويمكن أن نطرح تساؤلا هنا: لم اختار غالبية المزابيين مدينة الجزائر مكانا للعمل فيها؟

2- أسباب استقرارهم بمدينة الجزائر:

¹ - إبراهيم بن بحمان: المصدر السابق، ص 16.

² - حمو محمد عيسى النوري: المرجع السابق، م1، ص 188.

³ - عبد الكريم الماجري: هجرة الجزائريين والطرابلسية والمغاربة الجواندة إلى تونس (1831-1937م)، ط1، الشركة التونسية للنشر وتنمية فنون الرسم، تونس، 2010م، ص ص531-532.

⁴ - سيمون بفايفر: مذكرات جزائرية عشية الاحتلال، ترجمة أبو العيد دودو، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 163.

فصل تمهيدي: بنو مزاب وتواجدهم بمدينة الجزائر

تعتبر مدينة الجزائر منطقة جذب للسكان وللغنائم المهاجرة، وهذا نظرا لموقعها

الإستراتيجي الذي تتميز به خاصة وأنها مدينة ساحلية¹، كما أنها تعتبر مدينة تاريخية

وسياسية بحيث كانت عاصمة بعض الدول في بعض الفترات التاريخية العديدة²، وقد عُرف

عن المدينة أنها مركز تجاري مزدهر منذ القرن الثاني عشر ميلادي³، ولهذا وقع اختيار

المزابيين عليها نظرا لهدفهم المنشود في الهجرة وهو كسب لقمة العيش.

ويمكن أن نضيف أن الإيالة العثمانية قد اتخذت من مدينة الجزائر مقرا لحكمها على

شمال إفريقيا⁴، كما كانت هنالك علاقة طيبة ربطت المزابيين بالإخوة بربروس منذ سنة

1510م، حين اتصل عروج بربروس بالشيخ باحيو بن موسى⁵، طالبا منه المشاركة في

صد الغارة الاسبانية على جزيرة جربة سنة 916هـ/1510م⁶. وتوطدت العلاقة أكثر حين

¹ -نفسه، ص 21.

² -كانت مدينة الجزائر عاصمة لعرش الدولة الصنهاجية لملكها بولكين بن زيري بن مناد الصنهاجي، الذي اعتلى العرش منذ سنة 361هـ/ 971م بعد وفاة أبيه زيري، حيث قام بتجهيز حملة ضد زناتة وهوارة ونفزة وغيرهم من البربر، فاستولى على المغرب الأوسط؛ حمادي الساحلي: الدولة الصنهاجية (تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م)، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1992م، ج1، ص 68.

³ -كورين شوفالييه: الثلاثون السنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر (1510-1541م)، ترجمة جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية، 2007، ص 11.

⁴ -أحمد توفيق المدني: جغرافية القطر الجزائري، مكتبة الشريفي، 1948، ص 101.

⁵ -الشيخ باحيو بن موسى: كان حيا خلال 916هـ/ 1510م وقيل أصله من بني يسجن وقيل من العطف، كان من أهل الحرب والبيان، أوتي قوة وفصاحة دافع بهما عن الحق، وقد استدعاه خير الدين بربروس إلى قصره، بعد إحساسه بالخطر المحقق على العاصمة، فكانت له المهمة الرئيسية في تكوين مجموعة من الفدائيين المزابيين، وهزموا الإسبان بحيلة بتاريخ 925هـ/ 24 أوت 1518م، أطنبت المصادر في ذكر تفاصيلها، وذكر أبو اليقضان أنه كوّن جيشا من الصحراء الجزائرية، وقاده للمشاركة في الحرب ضد الإسبان لما استولوا على جزيرة جربة عام 927هـ/ 1520م، وبالعطف مسجد يحمل اسمه يزار للعبرة والذكرى؛ مصطفى بن صالح باجو وآخرون: معجم أعلام الإباضية، المرجع السابق، ج2، ص 85.

⁶ -يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص 81.

فصل تمهيدي: بنو مزاب وتواجدهم بمدينة الجزائر

ساهموا في تحرير «كدية الصابون» سنة 1518م¹. فبهذه الأعمال منحوا مكانة وتقديرا عند الإخوة بربروس وعند من خلفه على السلطة من العثمانيين في أرض الجزائر، لذلك فإنهم تمتعوا بمعاملة خاصة اعترافا لهم على ولائهم وإخلاصهم للإيالة الجزائرية العثمانية²، فيذكر ليسباس ذلك قائلا : «كانت جماعة بني مزاب بمدينة الجزائر لها الأفضلية مقارنة بالمغاربة³»، وهذا ما شجع من تزايد هجرة المزابيين للمدينة.

3- أماكن الإقامة بالمدينة:

هاجر بنو مزاب إلى مدينة الجزائر دون إحضار عائلاتهم معهم⁴، نظرا للأعراف والقوانين التي كانت سائدة في المجتمع المزابي الإباضي تحت إشراف حلقة العزابة، حيث أصدر المجلس الاتحادي لواد مزاب قرارا يمنع المرأة من الخروج من الوادي، لأن سفرها هذا يعني الهجرة النهائية للعائلة⁵.

ولهذا لاحظنا أن أماكن استقرار معظم المزابيين بالمدينة، كانت تدل على عدم التكالّف في اختيارها، فاتخذ البعض من محل تجارته مكانا للإقامة فيه⁶، وكما تخبرنا أيضا بعض الوثائق الأرشيفية أن من المزابيين من قام ببراء غرف في إحدى فنادق المدينة واتخاذها

¹ - مختار حساني: المرجع السابق، ج2، ص 228؛ سنّفصل في موضوع مشاركة المزابيين في الرد على العدوان الأجنبي خلال الفصل الأول.

² - يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص 68.

³ - Lespés(r): Quelques documents Sur la corporation des Mozabites dans les premiers temps de conquête (1830-1838), *Revue Africaine*, n° 66, A. Jourdan, Libraire-Éditeur, Alger, 1925, p.198.

⁴ - كورين شوفالييه: المرجع السابق، ص 19.

⁵ - يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص 71.

⁶ - عائشة غطاس: الحرف والحرفيون، المرجع السابق، ص 388.

فصل تمهيدي: بنو مزاب وتواجدهم بمدينة الجزائر

مسكننا له، كالمدعو «خليل بكير» المزابي الذي كان يسكن بالغرفة الحادية عشر في فندق العريش، و«بكير» المزابي الذي كان بيده غرفة في «فندق عزار»¹.

ويبدو أن بعضا من المزابين تمكنوا من شراء بعض المنازل واتخاذها سكنا لهم، فالمدعو «بكير» المزابي كان يملك منزلا صغيرا أسفل عين القصبة²، ولم يكن المزابيون يقيمون في حي سكني واحد بل كانوا يتوزعون على عدة مناطق في المدينة³.

ومع مرور الزمن وتنظيم الجماعات المزابية في التل، اتخذ بنو مزاب في مدينة الجزائر على غرار مدن التل دارا لنزول مسافريهم مجانا، وكان يطلق عليها اسم «دار العرش» وهذه الأخيرة كانت تتوفر على المرافق والوسائل الضرورية من إيواء وقاعة للصلاة، كما توفرت على مشرف ينظم المكان ويسهر على راحة المقيمين⁴.

نستخلص ممّا سبق أنّ بني مزاب من قبيلة زناتة الأمازيغية، وفدت إلى موطنهم بوادي مزاب مع مرور الزمن بعض العائلات من وارجلان وجربة ومناطق أخرى من شمال افريقيا، وأدى هذا التمازج العرقي والثقافي إلى بناء القصور السبعة الحالية وإنشاء نظام اجتماعي استوحى مبادئه من الدين، فحافظ على تماسك المجتمع ووقف ضد تحديات الواقع خاصة خلال القرن الرابع عشر حين فُكر المزابيون في إيجاد سبل لعيش أفضل لمّا ضاقت بهم

¹ - أ.و.ج/س.ب/ع 21، س. 117.

² - أ.و.ج/س.ب/ع 19، س. 104.

³ - مصطفى أحمد بن حموش: فقه العمران الإسلامي من خلال الأرشيف العثماني الجزائري (956هـ-1246هـ/1549م-1883م)، ط2، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، 2002م، ص28.

⁴ - يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص71.

فصل تمهيدي: بنو مزاب وتواجههم بمدينة الجزائر

السبل بوادي مزاب، فهاجروا إلى مدينة الجزائر لكسب لقمة العيش مع اعمار بلدهم وادي مزاب.

الفصل الأول: التنظيم الاقتصادي لمدينة الجزائر، وعوامل توطيد نشاط المزابيين بها

المبحث الأول: التنظيم الاقتصادي لمدينة الجزائر

المبحث الثاني: المزابيون والإخوة بربروس

المبحث الثالث: استمرار ولاء المزابيين للسلطة العثمانية

المبحث الرابع: دور الأمين المزابي

الفصل الأول: التنظيم الاقتصادي لمدينة الجزائر، وعوامل توطيد نشاط المزابيين بها

أصبحت مدينة الجزائر تحتل مكانة هامة بين مدن شمال إفريقيا، نتيجة للأوضاع السياسية التي كانت تعيشها المنطقة ، من هجرة لمسلمي الأندلس سنة 1492م، وكونها عاصمة لإيالة الجزائر العثمانية ابتداء من سنة 1519م، ومركزا للجهاد البحري في البحر الأبيض المتوسط، مما أدى إلى نشاط الحركة الاقتصادية بها، لاسيما بوجود فئات نشيطة على غرار الأندلسيين واليهود، وكذلك جماعات إثنية أخرى لعبت دورا هاما في تنشيط الحياة الاقتصادية بالمدينة كالمزابيين، الذين تمكنوا من احتلال مكانة هامة في اقتصاد مدينة الجزائر، ما دفع بالسلطة العثمانية إلى وضع أنظمة إدارية تتناسب مع الوضع الاجتماعي والاقتصادي الراهن.

فكيف كانت البنية التنظيمية لمدينة الجزائر؟ وما موقع جماعة بني مزاب منها؟ وما هي العوامل التي ساهمت في توطيد اقتصاد المزابيين بمدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية؟

المبحث الأول: التنظيم الاقتصادي لمدينة الجزائر

1- طوبوغرافيا الأسواق:

استقطبت مدينة الجزائر أنظار الكثير من الرحالة الذين تغنوا بوصفها وأعجبوا بهيكلتها كحسن الوزان الذي وصف مدينة الجزائر في الفترة العثمانية قائلا: «وهي كبيرة تضم نحو أربعة آلاف كانون، أسوارها رائعة ومتينة جدا، مبنية بالحجر الضخم. فيها دور جميلة وأسواق منسقة كما يجب، لكل حرفة مكانها الخاص. وفيها كذلك عدد كثير من الفنادق

الفصل الأول: التنظيم الاقتصادي لمدينة الجزائر، وعوامل توطيد نشاط المزابيين بها

والحمامات»¹، فقد لاحظ حسن الوزان تنسيق الأسواق التي كانت تخضع لنظام التخصص، حيث كانت لكل مجموعة حرفية سوق خاص بها يحمل اسمها²، كسوق الثوم³، سوق السمن⁴، كما خصصت بعض الأسواق لبعض الجماعات الدخيلة على المدينة كسوق الجرابية⁵ وسوق القبائل⁶، إلا أن هذا النظام لم يكن مطلق التنفيذ، فقد وجدنا في إحدى وثائق سجلات البايك بعض الحرف التي تواجدت في غير المكان المخصص لها «نصف حانوت بسوق السمن بيد موسى الفحام»⁷، كما لم تكن لجميع الجماعات الإثنية سوق خاص بها، فالمزابيون كانوا يتواجدون في كل نواحي مدينة الجزائر⁸، وملكيات الأندلسيين تتوزع على كل أحياء المدينة بما في ذلك حي القصبة العتيق⁹.

وقد تواجد بمدينة الجزائر حسب عائشة غطاس 51 سوقاً¹⁰ بعد عملية جرد الوثائق

التي قامت بها، إذ تركزت وبشكل كبير في حومتي باب عزون وباب الوادي والطرق

¹ - الحسن الوزان: وصف إفريقيا، ترجمة محمد حاجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1983، ج2، ص 37.

² - مصطفى أحمد بن حموش: فقه العمران الإسلامي، المرجع السابق، ص 27.

³ - أ. و. ج. س. ب. / ع 21. س 117.

⁴ - أ. و. ج. س. ب. / ع 21. س 118.

⁵ - أ. و. ج. س. ب. / ع 19. س 104.

⁶ - A.Devoulx: Tachrifat recueil de notes Historiques sur l'administration de l'ancienne Régence d'Alger, Imprimerie du gouvernement, Alger, 1852, p.65.

⁷ - أ. و. ج. س. ب. / ع 19. س 105.

⁸ - Lespés (r): Quelques documents sur la corporation des mozabites dans les premiers temps de conquête, Op.cit., p.202.

⁹ - مصطفى أحمد بن حموش: المدينة والسلطة في الإسلام (نموذج الجزائر في العهد العثماني)، ط1، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، دبي، 1999، ص 159.

¹⁰ - عائشة غطاس: الحرف والحرفيون، المرجع السابق، ص 208.

الفصل الأول: التنظيم الاقتصادي لمدينة الجزائر، وعوامل توطيد نشاط المزايين بها

المتصلة بها¹، و يمكن تصنيفها إلى مجموعتين حسب مواقعها: أسواق المدينة السفلى المفتحة على البحر، وأسواق وسط المدينة المتصلة بالجهات العليا الموصلة إلى حصون القصبة، فنجد:

أولاً: أسواق المدينة السفلى المفتحة على البحر:

ويمكن أن نقسمها بدورها إلى قسمين حسب طبيعة النشاط:

1- أسواق المهن والحرف اليدوية: سوق البرادعية، سوق السراجين، سوق السمارين، سوق الحاشية، سوق الصفارين (النحاسيين)، سوق الحفاوين.

2- أسواق السلع والمواد الغذائية: سوق الجرابية، سوق الخضارين، السوق الكبير،

سوق الملاحين، سوق رحبة الفحم، سوق الزرع ورحبة الشعير²، سوق القبائل³.

ثانياً: أسواق وسط المدينة:

1- أسواق المهن والحرف اليدوية: سوق البشامقية، سوق الصباغين، سوق البلاغجية،

سوق الخرازين، سوق الحياكة، سوق الشماعين.

2- أسواق السلع والمواد الغذائية: بادستان، سوق اللوح، سوق الجديد، سوق الحواتين،

سوق الدخان، سوق الخضارين⁴.

¹ - المهدي بوعبدلي: تاريخ المدن، ط1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، م2، ص 55.

² - عبد الله بن محمد الشويهد: قانون أسواق مدينة الجزائر (1107-1117هـ/1625-1705م)، تحقيق ناصر الدين

سعيدوني، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2006، ص ص 29 - 30.

³ - أ. و. ج. س. ب. / ع21. س 117.

⁴ - عبد الله بن محمد الشويهد: المصدر السابق، ص 31.

الفصل الأول: التنظيم الاقتصادي لمدينة الجزائر، وعوامل توطيد نشاط المزابيين بها

والملاحظ لترتيب الأسواق يجد أنها كانت خاضعة إلى مقصدين، مقصد اقتصادي :

يكن في تسهيل عملية المحتسب في مراقبة المكايل والقياسات¹ والحد من المنافسة الغير الشريفة، فتواجههم في بوتقة واحدة يسهل مراقبة بعضهم بعضاً ويدفعهم للتآزر والتماسك فيما بينهم، أما الثاني فهو المقصد الشرعي الذي روعي فيه الإلتزام بالسنة الشريفة لقوله ﷺ: « خير البقاع المساجد، وشرها الأسواق»²، فقد كان المسجد بمثابة المركز الظاهر والمرجعي لتدرج الحرف والأسواق فالتقرب منه يستلزم طهارة الحرفة والبعد منه يعكس نجاستها، فدرجة ابتعاد الحرفة من المسجد أو اقترابها منه يدل على قيمتها^{3 4}.

ونميز في أسواق مدينة الجزائر عدة أنواع تخضع لنفس الخصائص السالفة الذكر

وهي:

- السويقة: عبارة عن أسواق صغيرة مثل : سويقة باب الوادي وسويقة سيدي محمد الشريف⁵ وسويقة عمور⁶.

- الرحبة: ساحات عامة مفتوحة خالية من البنايات مخصصة لنشاطات

معينة⁷ وتستغل حسب الأسبقية ودون احتكار⁸ لئلا تحجب الزرع¹.

¹ - مصطفى أحمد بن حموش: المدينة والسلطة في الإسلام، المرجع السابق، ص 151.

² - رواه ابن حبان في صحيحه، باب: ذكر البيان بأن خير البقاع في الدنيا المساجد، رقم: 1599، حديث حسن.

³ - مصطفى أحمد بن حموش: المدينة والسلطة في الإسلام، المرجع السابق، ص 174.

⁴ - ينظر إلى الملحق رقم 01.

⁵ - عائشة غطاس: الحرف والحرفيون، المرجع السابق، ص 211.

⁶ - أ.و.ج/س.ب/ع 21. س 117.

⁷ - عائشة غطاس: الحرف والحرفيون، المرجع السابق، ص 222.

⁸ - مصطفى أحمد بن حموش: المدينة والسلطة في الإسلام، المرجع السابق، ص 181.

الفصل الأول: التنظيم الاقتصادي لمدينة الجزائر، وعوامل توطيد نشاط المزابيين بها

- البازار: وهو فندق يحتوي على حوانيت في الطابق الأرضي مخصصة لنوع من

أنواع التجارة²، أما في الطابق الثاني فهو مكان مخصص للإقامة أو ما يطلق عليه بـ

«العلوي»، مثل فندق الزيت الذي كان مخصصا لبيع الزيوت ويحتوي على غرف في طابقه

الثاني للكراء³.

2- أنظمة التسيير:

إن النظام الإداري الموجود بمدينة الجزائر يماثل الأنظمة الإدارية المعمول بها في بقية

مقاطعات الإيالة ببايلك الشرق والغرب وببايلك التيطري⁴، حيث نظمت الحياة الاقتصادية في

المدينة بجمع اليد العاملة في جماعات حرفية محددة، كما صنفت العناصر الوافدة من المدن

الداخلية أو ما أطلق عليها بمصطلح «البرانية»⁵ على شكل جماعات⁶ إثنية تتشابه في النظم

والتقاليد مع الجماعة الحرفية⁷ وهي: بني مزاب والجبلية والقبائل والباسكرة¹ والاغواطية وبني

¹ - أ. و. ج. س. ب. / ع 19. س 106.

² - مصطفى أحمد بن حموش: المدينة والسلطة في الإسلام، المرجع السابق، ص 181.

³ - أ. و. ج. س. ب. / ع 21. س 117.

⁴ - ناصر الدين سعيدوني: تاريخ الجزائر في العهد العثماني، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 116.

⁵ - البرانية: هي العناصر النازحة من المناطق الجبلية والجنوبية يطلق عليهم هذه التسمية تمييزا لهم عن سكان المدينة

الأصليين، أما التي وفدت من المدن كالمدينة، البليدة، القليعة، شرشال، قسنطينة، بجاية... فلم تعتبر كذلك، والمثير

للإعجاب أن من ضمن الجماعات المصنفة مع البرانية نجد القبائل رغم أنهم من سكان المدن وينتمون إلى المناطق

الساحلية؟؟؟؛ عائشة غطاس: الحرف والحرفيون، المرجع السابق، ص 29.

⁶ - الجماعة: مجموعة بشرية محدودة من حيث الحجم، يشكلها أفراد يشتركون في النسب؛ ناصر الدين سعيدوني: الحياة

الريفية بإقليم مدينة الجزائر (دار السلطان) أواخر العهد العثماني (1791-1830)، طبعة خاصة، دار البصائر، الجزائر،

2013، ص 408.

⁷ - عائشة غطاس: الحرف والحرفيون، المرجع السابق، ص 150.

الفصل الأول: التنظيم الاقتصادي لمدينة الجزائر، وعوامل توطيد نشاط المزابيين بها

عباس² ومزينة³، وبهذا تكون مدينة الجزائر تشبه كثيرا المدن الإسلامية في الجانب التنظيمي الاجتماعي الحرفي، إذ يقوم على أساس الإلتواء العرقي أو الديني أو المذهبي⁴.

وكان الإشكال في تحديد عدد هذه الطوائف الحرفية، فبينما حصرها البعض في 32 جماعة حرفية، نجد ناصر الدين سعيدوني يقدرها بنحو 40 جماعة⁵، أما في قانون الأسواق فقد أحصى 1 قرابة خمسين حرفة وهذا في سجل الضرائب المستخلصة سنة 1112هـ/1700م⁶، أما عائشة غطاس فقد أحصت بما يقارب 106 جماعة حرفية⁷ ويبدو أنه الأقرب وهذا للتنوع البشري والنشاط التجاري⁸ الذي شهدته المدينة ناهيك عن الموقع الجيوستراتيجي الذي تتميز به.

¹ - البسكرة: وصفهم وليام شالر على أنهم قوم مسالمون ومخلصون ولهذا يستعملون في المنازل كما كانوا يعملون في المخابز؛ وليام شالر: المصدر السابق، ص 109.

² - جماعة بني عباس: إحدى جماعات الدخلاء (البرانية) بمدينة الجزائر، تلحق بها عادة جماعة مزينة، عرفوا بجديتهم واستقلالهم بشؤونهم، واشتغلوا في مختلف المهن، واختصوا عن غيرهم بصنع الحصر ونسج الأغصية الصوفية وحياسة الملابس، حدد عددهم السلطات الفرنسية سنة 1838م بـ 185 فردا؛ عبد الله بن محمد الشويهد: المصدر السابق، ص ص 106-107.

³ - عائشة غطاس: الحرف والحرفيون، المرجع السابق، ص 38.

⁴ - مصطفى أحمد بن حموش: فقه العمران الإسلامي، المرجع السابق، ص 25.

⁵ - ناصر الدين سعيدوني: تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 180.

⁶ - عبد الله بن محمد الشويهد: المصدر السابق، ص ص 110-111.

⁷ - عائشة غطاس: الحرف والحرفيون، المرجع السابق، ص ص 110-111.

⁸ - زكية بوطبة: طبيعة النظام العثماني بالجزائر وعلاقته بالشعور القومي العربي من خلال نموذجين للثورات الداخلية بالجزائر، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، العدد 5 و6، 1992، ص 76.

الفصل الأول: التنظيم الاقتصادي لمدينة الجزائر، وعوامل توطيد نشاط المزابيين بها

وقد نظمت هذه الجماعات بطريقة دقيقة و مميزة، فلم يكن لأي كان أن يفتح ورشة

دون رضا أعضاء الجماعة عليه¹، كما اشتملت على هيكل تنظيمي محكم يتمثل في:

• الأمين: يعين على رأس كل جماعة رئيس يطلق عليه لقب «الأمين» بحيث يتصرف

باسم الباشا²، ويتم اختياره من قبل رفقاءه خاصة المعلمين المهرة ومن تستوفى فيه

الشروط كالأمانة وحسن الأخلاق³، كما أنه لم يكن يتقاضى أي أجر بل كان

يتحصل على أجرته من مصادر مختلفة، فأمين البساكرة مثلا كان يتحصل على 3

بوجو من كل متجر، البالغ عددها 24 حانوتا و 50 بوجو على كل بسكري جديد

يحل بالمدينة، وتجدر الإشارة إلى أن هذه الوظيفة لم تكن وراثية في عائلات معينة⁴،

وأما عن دوره اتجاه الجماعة والسلطة العثمانية فيمكن في:

- جمع الضرائب من الجماعة لصالح السلطات والتي عرفت بضريبة «البشماق»⁵،

فقد دفع أمين سوق القبائل 500 صايمة وأمين الخياطين 100 صايمة وأمين الجرابة

500 صايمة في 1103 هـ/1691 م⁶ وهذا دون أي اعتبار لنسبة الأرباح⁷.

- الحق في سجن وعقاب وطرد كل من يخالف القوانين المعمول بها داخل الجماعة

¹ - مصطفى بن أحمد حموش: المدينة والسلطة في الإسلام، المرجع السابق، ص166.

² - ابن المفتي حسين بن رجب شاوش: تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها، جمع فارس كعوان، ط1، بيت الحكمة، الجزائر، 2009، ص81.

³ - مصطفى بن أحمد بن حموش: المدينة والسلطة في الإسلام، المرجع السابق، ص166.

⁴ - عائشة غطاس: الحرف والحرفيون، المرجع السابق، ص 40.

⁵ - ناصر الدين سعيدوني: النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني (1792-1830م)، ط3، دار البصائر، الجزائر، 2012، ص101.

⁶ - A.Devoulx: Op.cit., p p. 66- 65.

⁷ - ناصر الدين سعيدوني: تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 184.

الفصل الأول: التنظيم الاقتصادي لمدينة الجزائر، وعوامل توطيد نشاط المزابيين بها

- المدافعة عن حقوق جماعته أمام الإدارة العليا.²
- السهر على تسوية الخلافات بين الصناع والحرفيين.³
- متابعة العمليات التجارية من شراء وبيع لحماية المستهلك.⁴
- الإحصائيات المتعلقة بأعضاء الجماعة إذ يجب على كل عضو إشعار الأمين عند الدخول أو الخروج من المدينة.⁵
- أمين الأمناء: وجد هذا المنصب قبل تاريخ 1608م إلى غاية أواخر القرن الثامن عشر و يختار صاحب هذا المنصب أمناء الجماعات ، وهو شخصية تمثل دور الوسيط بين الحرفيين والمحتسب⁶ ، ويبدو أنه كان متوارثا لسنوات عديدة كعائلة الشويهد الذي تقلد أعضاؤها هذا المنصب من 1609-1750م حيث كان دوره ينحصر في:
 - المشاركة في جلسات المحاكمة لإبداء رأيه كخبير.
 - المساهمة في تحرير القوانين المتعلقة بالسوق.

¹- Lespés (r):Op.cit.,p p.199-200

²- مصطفى أحمد بن حموش: المدينة والسلطة في الإسلام، المرجع السابق، ص166.

³- Lespés (r): Op.cit., p.198.

⁴- عائشة غطاس:الحرف والحرفيون،المرجع السابق، ص150.

⁵- مصطفى أحمد بن حموش: المدينة والسلطة في الإسلام، المرجع السابق، ص165.

⁶- موسى لقبال: الحياة اليومية لمجتمع المدينة الإسلامية من خلال نشأة وتطور نظام الحسبة المذهبية في المغرب العربي، ط1، دار هومة، الجزائر، 2002، ص98.

الفصل الأول: التنظيم الاقتصادي لمدينة الجزائر، وعوامل توطيد نشاط المزايين بها

- التنسيق بين مختلف الطوائف الحرفية عن طريق أمائها¹، كما لعب دور الكاتب

وهذا ما يخبرنا به قانون الأسواق في عدة مواضع « وكتب ذلك عبد الله محمد بن الشويهد عام

1105هـ/1693م² ».

- الشاوش: وهو مساعد الأمين والناطق الرسمي له وكان يقوم بعملية السجن والجلد.
- الخوجة: الذي كان بمكانة الكاتب المسجل للقضايا المتعلقة بداخلية الجماعة.
- الصايحي: وهو المسؤول عن صندوق الجماعة ما قد يناسبه بالمصطلح الحالي أمين المال³.

ويعتبر الشاوش والأمين أساس الجهاز الإداري وهما يخضعان للمراقبة المباشرة من

الداي، إضافة إلى موظفين ساميين كان دورهما الإشراف العام على الحياة الاقتصادية

العامة في المدينة، واللذان ذكرا في قانون الأسواق المتمثلين في شيخ البلد والمحتسب حيث

يمكن أن نلخص دورهما في:⁴

- شيخ البلد: تعني كلمة الشيخ في بلدان المغرب بالشخص المسن و الحكيم، وقد كانت

له السلطة اليومية والإدارة المحلية بمدينة الجزائر أين كان بمثابة الواسطة بين الحاكم

والرعية⁵، وقد كان يختار من أعيان أهل البلدة ليتولى الواسطة بين السكان المحليين

¹ - مصطفى أحمد بن حموش: المدينة والسلطة في الإسلام، المرجع السابق، ص 168.

² - عبد الله بن محمد الشويهد: المصدر السابق، ص 110.

³ - عائشة غطاس: الحرف والحرفيون، المرجع السابق، ص 157-158.

⁴ - ناصر الدين سعيدوني: تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 83.

⁵ - مصطفى أحمد بن حموش: المدينة والسلطة في الإسلام، المرجع السابق، ص 134.

الفصل الأول: التنظيم الاقتصادي لمدينة الجزائر، وعوامل توطيد نشاط المزايين بها

والحاكم العام¹، كما أن له دور مهم يكمن في حل القضايا والخلافات المتعلقة بين الطوائف الحرفية كالنزع الذي وقع بين جماعة بني مزاب والصناع، والذي ينقله لنا قانون الأسواق كآلاتي: « وقع نزاع بين بني مزاب وجماعة الصناع في الجزائر من فرانيين وجزارين وحمالين والحلوجية والبلبجية والهرقمجية² وغيرهم حول الخسارة التي يتكبدها الفرانون ورفعوا أمرهم إلى حضرة السيد أحمد باشا شيخ البلد³، كما كان له اتصال بالطوائف السكانية بالمدن عن طريق الأمناء ويتصرف في النقابات المهنية باستخلاص ما يتوجب عليها من رسوم وعوائد ويبلغ أوامر البايك إلى مختلف الطوائف⁴.

- المحتسب: وهي وظيفة في جهاز الحسبة المتمثل في منع أو إزالة الضرر الذي يصيب الأماكن العامة⁵، والمحتسب له الصلاحية في مراقبة كل ما يباع من مأكّل وملبس، وتحديد أسعار البضائع والإشراف على سير الأسواق ومراقبة الدكاكين وبائعي الخضر والفواكه وأفران الخبز⁶، ويساهم المحتسب مع أمين الأمناء في تحديد أسعار السلع وهذا ما نجده في قانون الأسواق: «وقع اتفاق مع العسكر المنصور بالله

¹ - مصطفى أحمد بن حموش: فقه العمران الإسلامي، المرجع السابق، ص 25.

² - الهرقمجية: المشتغلون في المطابخ التي تحضر الهرقمة وهي نوع من الأكل الشعبي يحضر في شكل مرق بأحشاء المواشي وأطرافها ومن بقايا اللحم، أما اللبلابي فهو الحمص المطبوخ أو المفلفل بطريقة خاصة؛ عبد الله بن محمد الشويهد: المصدر السابق، ص 54-97.

³ - نفسه، ص 98.

⁴ - ناصر الدين سعيدوني: تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 115.

⁵ - مصطفى أحمد بن حموش: فقه العمران الإسلامي، المرجع السابق، ص 62.

⁶ - حنيفي هلايلي: المرجع السابق، ص 18.

الفصل الأول: التنظيم الاقتصادي لمدينة الجزائر، وعوامل توطيد نشاط المزابيين بها

مع عبد الله محمد الشويحت مع سليمان المحتسب على الصابون سوم[سعر] الزيت أربع
ريالات يكون سوم الصابون اثنين وثلاثين درهم¹. ولم يكن المحتسب يتقاضى أجرا
من الدولة على عمله وإنما كانت أجرته يأخذها حسب مقادير محددة توظف على كل
سلعة واردة، فقد كان المحتسب عبد الرحمان يأخذ على تجار الغنم من بني مزاب
نسبة درهم عن كل شاة وهذا سنة 1117هـ/1706م² ولكن كان يلزم عليه دفع مبالغ
لصالح القصر من 1300 إلى 2000 صايمة وهذا سنة 1103هـ/1691م³

3- جماعة بني مزاب في ظل النظم الاقتصادية:

موضوع دراستنا يدور حول جماعة بني مزاب، فذلك كان لزاما علينا أن نقدم نبذة عن
هذه الجماعة في ظل النظم الإدارية المتبعة في مدينة الجزائر، إذ سنلاحظ فيها نوع ١ من
الخصوصية في التسيير من بين الجماعات البرانية، مثلها مثل بعض الجماعات الأخرى
بالمدينة كالجربة⁴، ويمكن أن نجملها في النقاط التالية:

- عيّن للمزابيين أمين خاص لهم بعد مشاركتهم الفعالة في دحض حملة شارل كان سنة 1541م، أين قدمت لهم امتيازات من بينها تعيين أمين لهم تخول إليه ولوحده

¹ - عبد الله بن محمد الشويهد: المصدر السابق، ص 78.

² - موسى لقبال: المرجع السابق، ص 99.

³ - A.Devoulx: Op.cit., p.67.

⁴ - من بين الجماعات التي كانت لها خصوصية في مدينة الجزائر نجد الجريبين (الجربة)، وهم الوافدين من جزيرة جربة حيث انضموا ضمن جماعة خاصة بهم دون الدخول ضمن الجماعات الحرفية أو حتى البرانية ؛ عائشة غطاس: الحرف والحرفيون، المرجع السابق، ص 44.

الفصل الأول: التنظيم الاقتصادي لمدينة الجزائر، وعوامل توطيد نشاط المزابيين بها

صلاحيات الشرطة والتقاضي¹، وقد وصف لنا القنصل الأمريكي وليام شالر هذه

الحالة قائلاً: «وهم في الشؤون المدنية لا يعترفون بسلطة إلا للأمين، المزابي الذي يقيم في الجزائر»².

- لم يكن الأمين المزابي أميناً على جماعته بمدينة الجزائر فحسب، بل كان المسؤول والأمين على عدة جماعات مزابية منتشرة في مدن التل³.
- تميزت هذه الجماعة بدقة تنظيمها الداخلي عن غيرها من الجماعات⁴، ويتمثل هذا في وجود هئتان تساعدان الأمين في عمله، الأولى يطلق عليها هيئة المقدمين ويتمثل عملها في القضاء والإستشارات، أما الثانية فكانت عبارة عن مجلس قضائي يدعى «الحلقة» ويقتصر عملها على تسجيل العقود وحل النزاعات⁵.
- بحكم أن المزابيين لم يكونوا متمركزين في منطقة واحدة⁶، فقد كان ارتباطهم ببعضهم البعض إدارياً عن طريق الحلقة والأمين⁷، ومن بين الأمناء الذين تداولوا على مسؤولية الجماعة نذكر:

بعض أمناء المزابيين بالجزائر

¹ - Lespés (r): Op.cit., p. 136.

² - وليام شالر: المصدر السابق، ص 111.

³ - M.Walsin Esterhazy: De la Domination Turque dans l'ancienne régance d'Alger, Librairie de charles gosselin, Paris, 1840, p.280.

⁴ - مصطفى أحمد بن حموش: المدينة والسلطة في الإسلام، المرجع السابق، ص 171.

⁵ - عائشة غطاس: الحرف والحرفيون، المرجع السابق، ص 40.

⁶ - Lespés (r): Op.cit., p.202.

⁷ - مصطفى أحمد بن حموش: المدينة والسلطة في الإسلام، المرجع السابق، ص 172.

الفصل الأول: التنظيم الاقتصادي لمدينة الجزائر، وعوامل توطيد نشاط المزابيين بها

الإسم	السنة
بكير بن عمر ¹	؟
ابراهيم بن صالح ²	؟
مقنين	1769م
عيسى المزابي	1780م
ابراهيم موسى	1805م
سعد الله بن أحمد ³	1828م

وفي الأخير يمكن أن ندرك بوضوح أهمية ال نظام الإداري الذي كان ساريا بالمدينة

والذي كان قائما على تشكيلها ضمن وحدات بشرية متماسكة بحيث تربطها المصلحة

المشتركة⁴، ونظرا لدقة هذا النظام فقد احتفظت السلطات الإستعمارية الفرنسية به وهذا

بمرسوم 14 جويلية 1830م الذي شمل كلا من جماعة بني مزاب والبساكرة كتجربة أولية ثم تمّ تعميمه لاحقا⁵.

المبحث الثاني: المزابيون والإخوة بربروس

¹ - Diego De Haëdo: Topographie et Histoire Générale d'Alger, Op.cit.,p.196.

² - حمو محمد عيسى النوري: المرجع السابق، م1، ص 233.

³ - عائشة غطاس: الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر، المرجع السابق، ص 42.

⁴ - ناصر الدين سعيديوني: الإدارة العثمانية في الأرياف الجزائرية (نموذج مقاطعة دار السلطان)، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، العدد 5 و 6، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق، زغوان، الجمهورية التونسية، 1992، ص 264.

⁵ - ناصر بالحاج: التنظيمات الفرنسية للجماعات الحرفية والإتنية غداة الاحتلال (حالة جماعة بني مزاب)، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 40، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2013، ص356.

الفصل الأول: التنظيم الاقتصادي لمدينة الجزائر، وعوامل توطيد نشاط المزابيين بها

تمكّن المزابيون من الارتقاء في السلم الاقتصادي بمدينة الجزائر، بفضل إسهاماتهم

العسكرية والسياسية لصالح السلطات العثمانية¹، ولقد كان أول اتصال بين المزابيين والأتراك

أثناء صدهم للحملة الإسبانية على جربة سنة 1510م، أي قبل كون الجزائر إيالة تابعة

للدولة العثمانية سنة 1519م، حيث شاركوا مع الإخوة بربروس² في صدّ بعض الحملات

الأجنبية على السواحل الإفريقية³، وهي:

1- الحملة الإسبانية على جزيرة جربة سنة 1510م:

اجتمعت الفرقة الفدائية المزابية المرابطة في الشمال الجزائري بقيادة باحيو بن موسى

المصعبي⁴ مع عزّوج بربروس، وكذلك إخوانهم المجاهدين بجزيرة جربة بقيادة: الشيخ أبي

زكرياء السمومني⁵ وشيخ حلقة عزّابة جربة أبو النجاة يونس بن سعيد¹ في جزيرة جربة، لردّ

¹ - العثمانيون: ينتسبون إلى إحدى قبائل الغز التركية بقلب آسيا الصغرى التي دفعها تقدم المغول في أوائل القرن الثالث عشر إلى الهرب غربا صوب الأناضول، وقد نجحوا فيما بعد في إقامة إمبراطورية قوية في نهاية القرن الثالث عشر ميلادي، وانتساب الدولة إلى عثمان بن أرطغرل راجع إلى كونه قد أكد استقلاله التام على إثر انهيار دولة سلاجقة الروم، إذ استحق عثمان أن يكون شعارا للدولة باعتباره زعيما لشعب محارب ؛ أحمد عبد الرحيم مصطفى: أصول التاريخ العثماني، ط2، دار الشروق، القاهرة، 1993، ص ص 13، 31.

² - الإخوة بربروس: قدم الإخوة بربروسة (عروج، إلياس، إسحاق، خير الدين) من جزيرة ميدلي Medeli مقابل ساحل بحر ايجة لتركيا، وكلمة بربروسة تعني: ذوي اللحى الشقراء، وهي صفة أطلقها الإفرنج على تلك العائلة التي تزعم أفرادها عملية الجهاد البحري، ثم نقلت إلى العربية بحرفيتها وبقيت سائرة حتى كادت تغطي على الأسماء الأصلية لمجموعة الإخوة المجاهدين؛ بسام العسلي: خير الدين بربروس والجهاد البحري (1470-1547م)، ط1، دار النفائس، بيروت، 1980، ص 26؛ حنيفي هلايلي: المرجع السابق، ص 126.

³ - يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص 81.

⁴ - الحاج موسى بن عمر: مزاب في العهد العثماني (1510-1830م)، مجلة الحياة، العدد 12، جمعية التراث، غرداية، الجزائر، 2008، ص 121 ؛ مختار حساني: المرجع السابق، ج2، ص 227.

⁵ - الشيخ أبي زكرياء السمومني: كان على قيد الحياة خلال (ق: 9هـ / 15م)، من علماء الإباضية بجربة في تونس، وهو من السمومنيين الذين تولوا مشيخة الحكم بالجزيرة، كان دوره تنفيذ أحكام العزّابة ورشح قائد في جيش جربة سنة =

الفصل الأول: التنظيم الاقتصادي لمدينة الجزائر، وعوامل توطيد نشاط المزابيين بها

الحملة الإسبانية التي قادها بيدرو نافارو على الجزيرة، حيث استطاعوا بفضل تكاثف الجهود من تحطيمها سنة 916هـ / 1510م².

ولقد غنم الشيخ باحيو بن موسى أكثر من عشر سفن إسبانية³ خلال مشاركته في المقاومة، وله منظومة في ثلاثين بيتا يصف فيها هول المعركة⁴، فبعد هذا الإنتصار ذاع صيت الفرقة الفدائية المزابية وأصبحت هنالك علاقة تعاون بين الإخوة بربروس والمزابيون.

2- بنو مزاب في مدينة الجزائر سنة 924هـ / 1518م:

استمرت الاتصالات بين الفرقة المزابية الفدائية وخير الدين بربروس، وهذه المرة في مدينة الجزائر حين عزم الإسبان على شنّ حملة على مدينة الجزائر سنة 1518م مستغلين بذلك وفاة القائد عروج ومتواطئين مع ملك تلمسان أبي حمو⁵.

=1510م، فدمر لهم أزيد من ثماني عشر سفينة بين كبيرة وصغيرة، إضافة إلى حركة جهاده كانت له مساهمة في الحركة العلمية الإباضية بجزيرة جربة؛ مصطفى بن صالح باجو وآخرون: المرجع السابق، ج2، ص 155.

¹- أبو النجاة يونس بن سعيد: كان على قيد الحياة خلال (ق: 10هـ / 16م) اشتهر من بين علماء جربة وأبطالها المجاهدين، أخذ العلم عن الشيخ أبي القاسم زكرياء بن أفلح الصدغياني، فرحل إلى جبل نفوسة فدرس على الشيخ أبي عفيف صالح بن نوح التندميرتي، ثم رجع إلى الجزيرة وتولى التدريس في جامع فاتو من جهة صدغيان، كما تولى رئاسة حلقة العزابة في جربة سنة 908هـ / 1497م، حيث كانت له الكلمة في تسيير أمور الجزيرة آنذاك، كما أنه شارك في ردع الحملة الإسبانية سنة 1510م؛ نفسه، ص ص 496-497.

²- الحاج موسى بن عمر: مزاب في العهد العثماني، المرجع السابق، ص 124.

³- يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص 104.

⁴- حمو محمد عيسى النوري: المرجع السابق، م1، ص 222.

⁵- أحمد توفيق المدني: حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 205.

الفصل الأول: التنظيم الاقتصادي لمدينة الجزائر، وعوامل توطيد نشاط المزابيين بها

ولقد انتهج الإسبان خطة ذكية حين جعلوا من إحدى مرتفعات مدينة الجزائر

المسماة بكدية الصابون، قلعة حصينة مجهزة بكل المدافع الثقيلة، وأطلقوا عليها اسم قلعة

الإمبراطور، وبذلك أصبحت مدينة الجزائر تحت تهديد كبير¹.

ولما أحس خير الدين بخطورة هذا الموقف، استدعى إلى قصره الشيخ باحيو بن

موسى وغيره من المجاهدين المزابيين يستشرونهم² في هذا الأمر، فأشاروا عليه بخطة

محكمة شرط تنفيذها بأنفسهم لضمان السرية وتزويدهم بالسلاح الضروري للقيام بالعملية،

فكانت الحيلة كما يلي:

• اختيار سبعين فدائي من المزابيين، مع حمل بعضهم نعشا مملوءا بالسلاح.

• السير بالجنابة الوهمية وسط المعسكر الإسباني مع التهليل والتكبير وإقامة صلاة

الجنابة عند المكان المقرر³.

• تعيين واحدا منهم كان يلبس قندورة من اللتش⁴ لتفجير نفسه في مستودع البارود.

• إحراق سفن المؤونة التابعة للعدو بعد التفجير⁵.

وقد تم تطبيق الخطة المعتمدة بنجاح، أين استطاع بنو مزاب أن ينشروا الرعب في

صفوف العدو¹، فعند مشاهدة الاسبان المتواجدين بكدية الصابون لذلك انقسموا إلى قسمين:

¹ - نفسه، ص ص 206-207.

² - يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص 81.

³ - حمو محمد عيسى النوري: المرجع السابق، م 1، ص 206.

⁴ - قندورة من اللتش: هي عبارة عن قميص مصنوعة من الصوف ذات صناعة تقليدية، واللتش خطوط طولية من رسوم ملونة يلبسها الأطفال في تلك العهود، والرجل يلبسها إذا تصدى للعدو بحمل السلاح وإخفائه فيها؛ حمو محمد عيسى النوري: المرجع السابق، م 1، ص 207.

⁵ - الحاج موسى بن عمر: مزاب في العهد العثماني، المرجع السابق، ص 125.

الفصل الأول: التنظيم الاقتصادي لمدينة الجزائر، وعوامل توطيد نشاط المزابيين بها

قسم ذهب لإنقاذ المعسكر، والآخر يواجه ضربات المجاهدين الذين فتحوا أبواب المدينة بعد العملية الفدائية، فأحاطوا بالإسبان² وقتلوا منهم الكثير وأسروا ثلاثة آلاف منهم.

وقد استشهد من المزابيين خلق كثير فقاموا بدفن شهدائهم في أرض المعركة، وهي لا تزال موجودة إلى وقتنا الحالي، وسميت بمقبرة شهداء المزابيين في ناحية حي «ليفى» وسط حسين داي، كما أصبحت هذه العملية يردّها الإسبان المعمّرين في تراثهم الشعبي بقولهم: «وارداً المورو بوزتي لو فنضورا دي كولورودي لا إله إلا الله سبحانه الحي الذي لا

يموت»³، أي احذر من العربي الذي يلبس القندورة الملونة⁴.

وبعد هذه العملية الفدائية في سنة 1518م، استدعى خير الدين جماعة المزابيين بالمدينة فأعطى لهم امتيازات اقتصادية على غرار قطعة أرض بجنان الفخّام⁵ الكبير⁶.

المبحث الثالث: استمرار ولاء المزابيين للسلطة العثمانية

أصبحت جماعة بني مزاب أقرب منذ أي وقت مضى بالسلطة العثمانية ، بفضل مساهمتهم في توطيد حكم الأتراك في الجزائر، وقد استمرّ وفاء المزابيين للسلطة العثمانية

¹ - يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص 82.

² - أحمد توفيق المدني: حرب الثلاثمائة سنة، المرجع السابق، ص 208.

³ - حمو محمد عيسى النوري: المرجع السابق، م 1، ص ص 207-208.

⁴ - لا يزال أفراد وعناصر الفرق الفلوكلورية للبارود بمزاب يلبسون هذه العباءة المزركشة والملونة ؛ الحاج موسى بن عمر : مزاب في العهد العثماني، المرجع السابق، ص 126.

⁵ - جنان الفخّام الكبير : يشمل الآن نهج العربي بن مهدي، ونهج دبّيش وما يتوسطهما من بنايات كالأروقة الجزائرية، وساحة الأمير عبد القادر وقصر الحكومة والفروم وقصر البريد الجديد، إلا أن الكثير من المزابيين لم يرتاحوا لقبول جنان الفخّام لأنه عسى أن يكون من حقوق الغير؛ حمو محمد عيسى النوري: المرجع السابق، م 1، ص 207.

⁶ - نفسه، ص 207.

الفصل الأول: التنظيم الاقتصادي لمدينة الجزائر، وعوامل توطيد نشاط المزابيين بها

حتى ما بعد الإخوة بربروس، حيث استمروا في تقديم يد العون لهم ضد الغزاة الأجانب وحتى المتمردين بالبلاد، ويمكن أن نذكر هذه المساعدات العسكرية للمزابيين ومدى تأثيرها على اقتصادهم بمدينة الجزائر:

1- حملة شارلكان على مدينة الجزائر سنة 1541م:

عزم ملك إسبانيا شارلكان على شن حملة على مدينة الجزائر، لاسترجاع شرف إسبانيا الذي انكسر أمام الجزائر سنة 1518م¹، وبسبب الجهاد البحري الذي كانت تمارسه القوات العثمانية في البحر الأبيض المتوسط²، وقد استغل شارلكان فرصة غياب خير الدين باشا عن الجزائر بتواجده بالمشرق لقيادة الأسطول الإسلامي العثماني المنهمك في حروب أوروبا³.

وفي يوم الأربعاء 19 أكتوبر 1541م أرست السفن الإسبانية في السواحل الجزائرية⁴، فأعدّ حسن بن خير الدين آغا⁵ جيشه وشرعوا في مقاومة الإسبان، إلا أن الإسبان في الأخير تمكنوا من احتلال كدية الصابون (قلعة الإمبراطور) وقصف المدينة منها⁶.

وتشير الرواية التاريخية أنّ المستشار اليهودي للبasha، أشار عليه بالإستعانة ببني مزاب لإخراج الإسبان من هذه القلعة فأرسل البasha في طلبهم، ولما حضر مزابيين مدينة

¹- أحمد توفيق المدني: حرب الثلاثمائة سنة، المرجع السابق، ص 271.

²- عبد الحميد أشنهو: دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر، الطبعة الشعبية للجيش، الجزائر، ص 193.

³- أحمد توفيق المدني: حرب الثلاثمائة سنة، المرجع السابق، ص 271.

⁴- كورين شوفالييه: المرجع السابق، ص 91.

⁵- حسن بن خير الدين آغا: ولي على الجزائر لمرتين، الأولى حين استجاب خير الدين لنداء التونسيين والثانية عندما لبّى أبوه نداء الباب العالي وذلك سنة 1535م وبعد ست سنوات أصبح حاكما للجزائر وقد توفي سنة 1543م؛ ينظر إلى: Diego De Haëdo: Histoire Rois d'Alger, traduite et annotée par H-D De Grammont, Adolphe Jourdan, Lipraire - éditeur, Alger, 1881, p p. 63-69.

⁶-الأغا بن عودة المزابي: طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر،

تحقيق يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ج 1، ص ص 223-224.

الفصل الأول: التنظيم الاقتصادي لمدينة الجزائر، وعوامل توطيد نشاط المزابيين بها

الجزائر إلى القصر شرح لهم الأمر¹، وعرض عليهم احتكارات اقتصادية هامة مقابل المهمة، مع تعيين أمين لهم تخول إليه كل الصلاحيات وكذلك مَنحهم نصف مدينة الجزائر². ولقد قبل المزابيون العرض فبدؤوا بالتفكير في طريقة لتنفيذ العملية بنجاح، فكانت على النحو التالي:

- إحضار أربعين امرأة زنجية يحملن أربعين قصعة من الطعام³.
 - أن يلبس رجال من المزابيين الحائك (حجاب تقليدي خاص بالنساء) متكرين على هيئة نسوة، وهم مدججين بالسلاح تحت ألبستهم⁴، وقد أشار الجنرال داماس إلى ذلك بقوله: «تتكروا على هيئة نسوة، وهي حيلة للوصول إلى المبتغى دون مخاطر»⁵.
- وقد اتجه هذا الوفد من الرجال المتكرين والنساء الزنجيات إلى مكان العدو وما إن وصلوا إلى المكان المقصود، أمروا الزنجيات بتقديم الطعام والرجوع من حيث أتين، ثم همّ الإسبان بالبداة بأكل الطعام ظانين أنّ الباشا قد سلّم المدينة بأمان، وأنّ النساء عبارة عن هدية منه ودليل على الخضوع والإذعان⁶.

بعدها قام الفدائيون المزابيون على حين غفلة بإخراج السلاح، فقتلوا جميع الإسبان⁷الذين كانوا في الحصن⁸ وتمّ لهم النصر المبين، وأما الخسائر البشرية لدى المزابيين فقد استشهد مزابي واحد بنيران صديقة بالخطأ⁹، وبهذه الحيلة ساهم المزابيون مع إخوانهم

¹ - Auguste Mouliéras: Les Beni-isguen (MZAB), Imprimerie Fouqué.C. Petit Fanal, Oran, 1895, partie 1, p p. 71-72.

² - حمو محمد عيسى النوري: المرجع السابق، م1، ص 214.

³ - Auguste Mouliéras: Op.cit., partie 1, p. 72.

⁴ - سيمون بفايفر: المصدر السابق، ص 164.

⁵ - Le Générale Daumas: Moeurs et Coutumes de l'Algerie (Tell- Kabylie- Sahara), librairie de. L. hachette, Paris, 1853, p. 136.

⁶ - Auguste Moulieras: Op.cit., partie 01, p. 72.

⁷ - سيمون بفايفر: المصدر السابق، ص 164.

⁸ - حمو محمد عيسى النوري: المرجع السابق، م1، ص 215.

⁹ - Auguste Moulieras: Op.cit., partie 01, p. 72.

الفصل الأول: التنظيم الاقتصادي لمدينة الجزائر، وعوامل توطيد نشاط المزابيين بها

في مدينة الجزائر من دحض حملة شارلكان بالإضافة إلى اللطائف الإلهية، حين أرسل الله تعالى عليهم في آخر الليل ريحا عاصفة أودت بسفن العدو جميعا¹.

2- بنو مزاب وإحباط تمرد الكراغلة سنة 1630م:

استمرت مساندة المزابيين للسلطة المركزية العثمانية، ففي ولاية حسن باشا سنة 1630م حاول الكراغلة الاستيلاء على الحكم بالجزائر، فوضعوا مشروعا يهدف إلى طرد سلطة الأتراك نهائيا³.

فاستولوا على برج مولاي الحسن (كدية الصابون) الإستراتيجي، ففكر الأتراك في كيفية لإحباط مشروعهم⁴ فلجؤوا إلى جماعة بني مزاب بالمدينة، الذين بدورهم قاموا بنفس الخطة التي استعملوها في حملة شارلكان لأن الموقع كان واحدا، حيث قاموا بالتمنكر بلباس النسوة مع إخفاء السلاح تحت ألبستهم⁵، فهيرين مسرعات نحو الحصن إيهاما للمتمردين الكراغلة أنهم أيضا هربوا من جور الأتراك⁶.

فتقدم الوفد المتنكر إلى الحصن، وما إن دخلوه حتى قاموا بمهاجمة المتمردين الكراغلة بمساعدة من كان يتبعهم عن كثب⁷ فأخضعوهم وأحبطوا مشروعهم⁸.

وعلى إثر هذا الحادث قررت السلطة العثمانية بعدم السماح للكراغلة بشغل المناصب السامية في البلد، ولم يستطيعوا طردهم من البلد بحكم كونهم من أبناء جلدتهم¹،

¹-الأغا بن عودة المزابي: المصدر السابق، ج1، ص ص 223-224.

²-فئة الكراغلة: هم أبناء الأتراك من أمهات جزائريات، وهي أكثر عددا من طائفة الأتراك سواء في مدينة الجزائر أو في البلاد الجزائرية كلها؛ صالح عباد: الجزائر خلال الحكم التركي (1514-1830)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2005، ص ص 257، 358.

³-حمدان بن عثمان خوجة: المرأة، تحقيق محمد العربي الزبيري، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2006، ص 116.

⁴- نفسه، ص 116.

⁵- مختار حساني: المرجع السابق، ج2، ص 224.

⁶- حمدان خوجة: المصدر السابق، ص 116.

⁷-مختار حساني: المرجع السابق، ج2، ص 224.

⁸-حمو محمد عيسى النوري: المرجع السابق، م1، ص 202.

الفصل الأول: التنظيم الاقتصادي لمدينة الجزائر، وعوامل توطيد نشاط المزابيين بها

كما قررت السلطة العثمانية منح جماعة بني مزاب كمكافأة لعملهم البطولي، أحقية الإشراف على المركز الرئيسي للذبح بمدينة الجزائر²، والتي من خلالها أضيفت امتيازات أخرى في سجل جماعة بني مزاب بمدينة الجزائر.

¹-حمدان خوجة: المصدر السابق، ص 117.

²-مختار حساني: المرجع السابق، ج2، ص 225.

المبحث الرابع: دور الأمين المزابي

كان أمين جماعة بني مزاب عاملا من العوامل المساهمة في توطيد اقتصاد مزابي مدينة الجزائر، حيث تشير أغلب الروايات إلى أنّ حكام الجزائر، قد استحدثوا هذا المنصب للجماعة المذكورة بعد مشاركتهم الفعالة في دحض حملة شارلكان¹ 1541م، ومنذ ذلك الحين أصبح بإمكان أمين جماعة بني مزاب من بين جميع أمناء الجماعات الحرفية الحضور في المجالس الاستشارية للسلطة العثمانية بالجزائر²، وقد توطدت مكانة الأمين أكثر مع الحكام الجزائريين، حين استغل ثروته الضخمة التي كانت تفوق كامل ثروة بايلك التيطري، في تقديم قروض للحكام العثمانيين حين تعاني الخزينة من عجز مالي.

ولعل الحُظوة التي كان يتميز بها الأمين المزابي، جعلته مع أمين الجيجليين الوحيدين اللذين كانا يُستدعيان للاحتفالات الدينية ويقدم لهما الداي هدايا بالمناسبة، كما حدث سنة 1224هـ / 1809م حين تلقى الأمين المزابي حسب كاتب القصر أضحية العيد من طرف الداي³.

فهذه المكانة الراقية للأمين والهيئة التي فرضها مع تعامله، جعلته المتحكم في جماعته والمسير لها والمدافع عنها حتى أصبحت جماعته لا تعترف بأي قرار إلا منه⁴، ولاشك أن بلوغه لهذه المكانة المؤثرة فيه إفادة كبيرة لجماعته، حيث باتت تقدّم لها

¹ - إبراهيم بن بيحمان المصعبي: المصدر السابق، ص 18.

² - مختاري حساني: المرجع السابق، ج 2، ص 225.

³ - A.Devoulx: Op.cit., p.33.

⁴ - وليام شالر: المصدر السابق، ص 111.

الفصل الأول: التنظيم الاقتصادي لمدينة الجزائر، وعوامل توطيد نشاط المزابيين بها

الصلاحيات والتشجيعات الاقتصادية¹، وهذا ما زاد من توافد المزابيين للمدينة ف تكاثرت أعدادهم فيها أين تجاوزت 8000 شخص، وتزايد نشاطهم الاقتصادي بتزايد عددهم، فبات لهم أيضا الثقل التجاري والقيمة عند السلطة العثمانية، بفضل مساهمتهم في دخل خزينة البايك، والتي قدرت قبل الإحتلال بـ450 ريال بوجو².

كما عمل أمين جماعة بني مزاب في المحافظة على النزاهة والأمانة التي تميز بها مزابيو مدينة الجزائر³، حيث وقع اتفاق بين القصور الخمسة بوادي مزاب مع أمين المزابيين بمدينة الجزائر⁴ سنة 1222هـ / 1807م على أن يراقب الأمين سير التعاملات الاقتصادية بدار السلطان، فإن كان لأحد أفراد جماعته دين أو مشكلة مع أحد أفراد مدينة الجزائر، فعلى هؤلاء أن يضمنوا له: « واستجار لدار السلطان بدراهم ما لزم يلزمه وحده يبيع ملكه وان ليس عنده ملك فورثه فيبيعون أملاكه وان ليس عند الورثة شيء بعشيرته كذلك وان ليس عند العشيرة فاهل [أهل] قصره»⁵.

ومن خلال ما سبق يمكننا القول بأن التنظيم الاقتصادي بمدينة الجزائر كان يتميز بالدقة والوضوح في نظمه، حيث اجتمعت الجماعات على أساس الحرفة الواحدة في بدايتها لكل منها تنظيمها الإداري، ثم حدث تطور تدريجي مع مرور الزمن بحيث أصبحت

¹ - ينظر إلى الفصل الثاني والثالث.

² - ناصر الدين سعيدوني: تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 237.

³ - نفسه، ص 236.

⁴ - ينظر إلى الملحق رقم 02..

⁵ - اتفاق بين القصور الخمسة بشأن المزابيين بدار السلطان، مخطوط بخزانة آل باحرز بغرداية، الرقم 62.

الفصل الأول: التنظيم الاقتصادي لمدينة الجزائر، وعوامل توطيد نشاط المزابيين بها

العناصر الوافدة للمدينة تتهيكّل ضمن جماعات على أساس إثني، وهذا لمّا تكاثر عددها بالمدينة ولمّا قوي تأثيرها في اقتصاد مدينة الجزائر كجماعة بني مزاب والقبائل والجواجلة. وكما رأينا، فإنّ جماعة بني مزاب كان لها نوع من الخصوصية من جانب النظم الإقتصادية، بحيث كان لعلاقتهم الوطيدة والمساهمات السياسية والعسكرية مع السلطة العثمانية بالجزائر، أثر مباشر على تنظيمهم في المدينة وعلى نشاطهم الاقتصادي فيها.

الفصل الثاني: النشاط الحرفي والخدمات للمزايين بمدينة الجزائر

المبحث الأول: النشاط الحرفي.

المبحث الثاني: النشاط الخدمـاتي.

الفصل الثاني: النشاط الحرفي والخدمات للمزابيين بمدينة الجزائر

تميزت مدينة الجزائر بنشاطها الاقتصادي المزدهر، فكانت قبلة للتجار والحرفيين في داخل البلاد وخارجها، وبحكم أن المزابيين كان هدفهم الأول من مجيئهم إلى مدينة الجزائر هو كسب لقمة العيش، فقد وجدناهم يمتحنون أغلب الحرف والصناعات والخدمات المنتشرة فيهلون تمييز مهنة عن أخرى ما دامت لا تتناف مع الشريعة الإسلامية في أصولها، وهذا على غرار المهن التي منحها لهم السلطة العثمانية دون غيرهم مقابل الإسهامات التي قدموها لها.

فماهي نوعية الأنشطة الحرفية والخدمات التي مارسها المزابيون بمدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية؟ وما هي الاحتكارات المقدمة لهم من طرف السلطة العثمانية في هذين الاختصاصين؟

المبحث الأول: النشاط الحرفي

1- الكوشات:

توفرت مدينة الجزائر في الفترة العثمانية على عدة صناعات غذائية متنوعة كالمخبزات (أفران الخبز)، والمطاحن، ومعاصر الزيتون، وتصبير الفواكه وغيرها¹. ومع نهاية القرن 16م أصبح لكل جماعة نشاطا اقتصاديا تعرف به وسمي هذا النظام بنظام التخصص²، والذي ظل ساريا حتى على الجماعات البرانية، فالأغواطيون تخصصوا بأعمال

¹ - ناصر الدين سعيدوني: تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 190.

² - عائشة غطاس: الحرف والحرفيون، المرجع السابق، ص 247.

الفصل الثاني: النشاط الحرفي والخدمات للمزابيين بمدينة الجزائر

النظافة والبسكرة بالحراسة والقبائل بالبناء والزواج بخدمة المنازل¹، وكان لزاما على بقية الجماعات احترام ما تتمتع به الجماعة الأخرى من امتيازات².

أما عن جماعة بني مزاب فقد تخصصوا على غرار غيرهم في عدة مجالات، منها العمل في الكوشات وإدارتها، حيث كانت بيدهم أغلب مخازر مدينة الجزائر وهذا بمقتضى العقود والمعاهدات التي أبرموها مع حكومة الدايات³، حيث منحت لهم امتيازات كثيرة تفوق أحيانا تلك التي عند البلديين⁴ وذلك رغم اعتبارهم من البرانية⁵، خاصة بعد مشاركتهم في حملة شارلكان في سنة 1541م⁶، أين استأثرت جماعة بني مزاب بهذا النشاط طيلة العهد العثماني⁷.

وتشير عدة كتابات إلى أن المزابيين كانوا يمتلكون كل مخازر مدينة الجزائر دون سواهم، إذ يخبرنا بذلك مصدر في أواخر العهد العثماني بقوله: «وقد منحهم [المزابيين] دايات الجزائر منذ قرون امتيازات خاصة، فالحمامات والطاحونات خاصة بهم دون سواهم،

¹ - ناصر الدين سعيدوني: النظام المالي، المرجع السابق، ص43.

² - ناصر بالحاج: التنظيمات الحرفية، المرجع السابق، ص 355.

³ - علي عبد القادر حليمي: مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830، ط1، المطبعة العربية لدار الفكر الاسلامي، الجزائر، 1972، ص 266.

⁴ - البلديين: هم أهالي ولدوا بالمدينة واستقرت عائلاتهم منذ القديم فيها، فهم خليط من قبيلة الماكيل الموجودة في سهل متيجة، ومن المغاربة أيضا من سلالة بني مزغنة؛ كورين شوفاليه: المرجع السابق، ص 16.

⁵ - مصطفى أحمد بن حموش: المدينة والسلطة، المرجع السابق، ص 155.

⁶ - lespés(r):Op.cit., p.198.

⁷ - عائشة غطاس: الحرف والحرفيون، المرجع السابق، ص 248.

الفصل الثاني: النشاط الحرفي والخدمات للمزايين بمدينة الجزائر

وكذلك لا يجوز لغيرهم بالخبازة [العمل في المخبرات]¹ ويؤكد ذلك فونتير دو بارادي بقوله: « كان المزايون يملكون كل مطاحن ومخابز المدينة »².

وخلافا لذلك، نجد في قانون أسواق مدينة الجزائر سنة 1109هـ / 1697م هذا

النص: « وقع الاتفاق مع بني مزاب والجبلياً صلحهم بابا حسن [كذا] والباش أما خبز

العسكر على العادة القديمة بأربع درهم³ للصاع، وإذا يكون عند الجبلياً زايد للبيع يعطوا

لبني مزاب 12 للصاع هكذا أصلح الدلاتلي أيده الله وكتب عبد الله محمد الحاج يوسف بن

الشويحت تاب الله عليه عام 1109«⁴. يبين لنا هذا النص أن جماعة الجبليين كانوا قد

تخصصوا هم أيضاً بصناعة الخبز في مدينة الجزائر، إلا أنه كان يوزع على العسكر فقط،

حيث تم الاتفاق بعد تدخل الداوي بابا حسن والباشا على أن يبقى سعر الخبز المخصص

للعسكر بنفس السعر القديم أي أربعة دراهم للصاع، وإذا كان للجبليين فائض منه يبيعونه

لبني ميزاب بـ 12 للصاع، كما نجد في وثائق سلسلة البايك نصين صريحين يثبتان ذلك:

«حانوت سمت [يجوار] دار مصطفى خوجة جنب كوشة الجبليية بيد موشي الزمي» و

«كوشة قرب حمام المالح بيد موسى الجبلي وشريكه»⁵. فقد وجد بمدينة الجزائر 16 فرنا

¹ - سيمون بفايفر: المصدر السابق، ص 163.

²-Venture De Paradis: Alger au 18 siècle (1739-1799), Typographie Adolphe Jordan, Alger, 1898, p.14.

³ -ريال درهم: عملة فضية جزائرية تساوي 0.45 فرنك؛ ناصر الدين سعيدوني: النظام المالي، المرجع السابق، ص195.

⁴ - عبد الله محمد بن الشويهد: المصدر السابق، ص 62.

⁵ -أ.و.ج/س.ب/ع21.س 118.

الفصل الثاني: النشاط الحرفي والخدمات للمزابيين بمدينة الجزائر

من أفران البايك مخصصة لتحضير الخبز لأفراد الحامية¹. ويبدو أن المصادر التي أشارت إلى امتلاك المزابيين لكل مخبزات المدينة، المقصود بها أن الأغلبية الساحقة للكوشات كانت بيد المزابيين، ففي عام 1681م كان الحاج عيسى المزابي أمين جماعة الفرانين يستعمل فرنين واحد بسوق السمن والثاني بسويقة عمور²، إلى درجة أنه غالبا ما يعين أمين الكواشين بمدينة الجزائر من بين جماعة المزابيين كعام 1807م حيث عين الحاج سعيد في هذا المنصب من قبل الداوي أحمد باشا³.

ونجد أن المزابيين المشتغلين في صناعة الخبز لم يكتفوا بهذه المادة فقط، بل حاولوا أن يصنعوا مواد أخرى تتشابه في نفس المواد الأولية المستعملة في صناعة الخبز كالقمح والنشا والفرينة، فامتحنوا صناعة الحلوى وخاصة الزلابية⁴، ويذكر قانون الأسواق أن سعر الزلابية حدد سنة 1112هـ/1700م بأربعة وأربعين درهم للرطل⁵، أما الزلابية المصنوعة من النشا بأربعة دراهم، ما دفع بتجار المزابيين إلى التماس رفع الثمن: «الحمد لله دخلنا مع سي

¹ - ناصر الدين سعيدوني: تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 190.

² - عائشة غطاس: الحرف والحرفيون، المرجع السابق، ص 248.

³ - محمد بوشنافي: صناعة الخبز ومقوماته في الجزائر خلال العهد العثماني (1520-1830م)، مجلة المواقف، العدد 1، منشورات كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة مصطفى اسطمبولي، معسكر، ديسمبر 2015، ص 49.

⁴ - عمار بن خروف: جماعة بني مزاب في مدينة الجزائر في العهد العثماني 1520-1830 (تنظيمها- نشاطها- علاقاتها)، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد 1، المركز الجامعي بغرداية، غرداية، الجزائر، ديسمبر 2006، ص 44.

⁵ - الرطل: يعادل 0.95 كغ؛ ناصر الدين سعيدوني: النظام المالي، المرجع السابق، ص 284.

الفصل الثاني: النشاط الحرفي والخدمات للمزابيين بمدينة الجزائر

عبد الرحمن الدلاتي على شان الزلابيا امتع النشا وسرحها بأربع درهم ثم بعد أيام دخلوا إليه المعلمين بني مزاب وحلوه وزاد لهم أربع دراهم نشا»¹.

ولقد كانت المرأة بدورها تعمل في تحضير الخبز للكواشين سواء للمزابيين أو للجيجاليين²، إلا أننا لم نجد امرأة مزابية كانت تعمل في صناعة الخبز وخاصة أن معظم مديري المخبرات كانوا مزابيين، وهذا لأن الفرد المزابي كان يأتي إلى مدينة الجزائر بغرض العمل دون إحضار العائلة³.

- أسماء بعض مالكي المخبرات من المزابيين:

استطعنا أن نثبت ملكيات بعض الكوشات الموجودة بمدينة الجزائر للمزابيين وهذا بطريقتين:

الطريقة الأولى: وجدنا بعد اطلاعنا على وثائق المحاكم الشرعية وسلسلة البايك

أسماء صريحة لكوشات تابعة للمزابيين مثل: «كوشة لمصابي محمد»⁴.

الطريقة الثانية: صادفتنا بعض الكوشات بأسماء أفرادها لكن لم تذكر تبعيتها لجماعة

بني مزاب أو الجيجاليين، إلا أننا استطعنا أن ننسب بعضا منها للمزابيين وهذا بحكم الأسماء

¹ - عبد الله بن محمد الشويهد: المصدر السابق، ص 82.

² - عائشة غطاس: الحرف والحرفيون، المرجع السابق، ص 254.

³ - كورين شوفالييه: المرجع السابق، ص 19.

⁴ - أ. و. ج.س. ب / ع 21. س 117.

الفصل الثاني: النشاط الحرفي والخدمات للمزابيين بمدينة الجزائر

الخاصة المشهورة بمزاب¹ مثلما جاء في بعض الوثائق «كوشة بكير»²، فتحصلنا على

الجدول التالي:

الكوشة أو فرن الخبز	صاحبها	المصدر
كوشة بكير	بكير	س ب. ع 21. س 117.
كوشة لمصابي محمد	محمد	س ب. ع 21. س 117.
كوشة أحمد بن حمو الكواش	أحمد بن حمو	س ب. ع 21. س 117.
كوشة بكير هلال ووريدة والكعك	بكير هلال	س ب. ع 21. س 117.
دار فرن بكير هلال	بكير هلال	س ب. ع 21. س 117.
كوشة ابن الرقي وبكير علي لمصابي	ابن الرقي وبكير علي	س ب. ع 21. س 117.
كوشة النصاري يحي بن قسم المصابي	يحي بن قسم	س ب. ع 21. س 117.
فرن سوق السمن بيد دحمان بن عبد الله المصابي	دحمان بن عبد الله	س ب. ع 21. س 117.
أفران أعلا سوق السمن بيد داوود مصابي	داوود	س ب. ع 21. س 118.

¹ - من الأسماء المشهورة بمزاب هي: بوهون، بكير، دادي، بكير، باخة؛ للمزيد ينظر:

Motylinsky (A. De C) : Notes Historiques Sur Le Mzab, Guerara depuis sa fondation, **Revue Africaine**, n° 28, A. Jourdan, Libraire-Éditeur, Alger, 1884, p.379.

² - أ. و. ج/ س. ب/ ع 21. س 117.

الفصل الثاني: النشاط الحرفي والخدمات للمزابيين بمدينة الجزائر

فرن بكجاوة بيد محمد بن ابراهيم مصابي بن يحي	محمد بن ابراهيم مصابي	س ب . ع 21 . س 118
فرن قرب القصبة بيد عدون المصابي	عدون	س ب . ع 21 . س 118
فرن قرب سيدي محمد الشريف بيد صالح مصابي	صالح	س ب . ع 19 . س 105.
فرن بسويقت عمور بيد حمو امصابي	حمو	س ب . ع 19 . س 105.
كوشت وريد بيد عمي بكير	عمي بكير	س ب . ع 19 . س 106.
فرن أعلا سوق السمن بيد عامر المصابي	عامر	س ب . ع 23 . س 146
فرن بسويقت عمور بيد الحاج سعيد المصابي	الحاج سعيد	س ب . ع 23 . س 146.

- المزابيون والجوالة ... جماعتان لحرفة واحدة:

كان كل من الجيجاليين والمزابيين يعملون في أفران الخبز، فكان من المنطقي أن نجد

هنالك علاقة بينهما ليس فقط بحكم أنهما يعملان في نفس المنتج، بل لأن بني مزاب كان

الفصل الثاني: النشاط الحرفي والخدمات للمزابيين بمدينة الجزائر

لهم احتكار مطاحن القمح¹ التي تعتبر مادة أساسية في صناعة الخبز، فإطلعنا قانون الأسواق على عدة اتفاقيات تجارية بين الجماعتين ، ففي سنة 1109هـ/1697م تم الاتفاق بينهما على أن يبيع الجواجلة ما تبقى من الخبز المخصص للجند لبني مزاب بـ 12 درهم للصاع²، كما تم الاتفاق أيضا سنة 1018هـ/1609م على تجديد أجرة طحن الخبز بأربعة دراهم للصاع³، ويبدو أن العلاقة بينهما قد تعدت حيز الاتفاقيات التجارية لتصل إلى حد الشراكة، فقد وجدنا في إحدى وثائق سلسلة البايك مايلي: « كوشة ابن الرقي وبكير علي لمصابي»⁴. ويبدو من النص أن المزابي المدعو «بكير علي» كانت له شراكة مع شخص آخر ومن الراجح أن يكون من جماعة الجواجلة، وهذا بحكم أنهم الوحيدون الذين كانوا يعملون في نفس الحرفة ، وأيضا لعدم ذكر كلمة «مصابي» بعد المدعو « ابن الرقي»، أو على الأقل طرحها بصيغة المثني بعد ذكر الشريكين، كما أن الاسم المذكور ليس من الأسماء المتداولة في أوساط المزابيين.

- تقلبات سعر الخبز ومقاديره:

تعتبر حرفة صناعة الخبز من الحرف المهمة جدا والحساسة، وبهذا كانت السلطة العليا في البلاد والمتمثلة في الباشا أو الداوي تتدخل في شؤونها، فبتاريخ أوائل ربيع الثاني من 1160هـ/أفريل 1747م تدخل الداوي محمد باشا شخصيا لترميم فرن مخصص لطهي

¹- E. pellissier de Reyneud: Annales Algérienne, Librairie militaire, p.80.

² - الصاع: يساوي في مدينة الجزائر 60 لترا؛ ناصر الدين سعيدوني: النظام المالي، المرجع السابق، ص 111.

³ - عبد الله محمد بن الشويهد: المصدر السابق، ص 62.

⁴-أ.و.ج/س.ب/ع 21. 117.

الفصل الثاني: النشاط الحرفي والخدمات للمزايين بمدينة الجزائر

خبز الجنود لملكه محمد الحفاف الذي عجز عن القيام بهذا الأمر بنفسه¹، والأمر نفسه نجده في قضايا التسعير التي كانت تخضع لرقابة دائمة من السلطة العليا وهذا لتقادي حدوث أزمات التمويل².

أما عن وزن الخبز، فلم يكن ثابتا طيلة الفترة العثمانية بل كان يتغير من فترة لأخرى حيث كان يسمح للخبازين بتغيير الوزن، عند إصابة البلاد بجائحة كالجراد الذي أصاب البلاد في عهد عمر باشا 1815-1817م³، ما أدى إلى نقص في انتاج الحبوب، وهكذا أصدر الداوي مرسوما يتيح الإنقاص من وزن الخبزة الواحدة لتعويض الخباز الخسائر الناتجة عن ارتفاع سعر الحبوب والعكس أيضا⁴. ويخبرنا قانون الأسواق بنماذج عن هذه القضايا، ففي سنة 1105هـ/1693م حدّد الداوي بابا أحمد⁵ وزن الخبزة قبل طهيها بـ 10 أوقيات⁶، على أن لا يقل وزنها بعد الطهي عن 9 أوقيات، وبعد مرور خمس سنوات على هذا وبالضبط سنة 1109هـ/1697م، حدّد وزن عجينة الخبز بـ 13 أوقية و 12 عند طهيها،

¹ - محمد بوشنتافي: المرجع السابق، ص 47.

² - عائشة غطاس: الحرف والحرفيون، المرجع السابق، ص 160.

³ - الحاج أحمد الشريف الزهار: مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار (نقيب أشرف الجزائر)، تحقيق أحمد توفيق المدني، موفم للنشر، الجزائر، 2011، ص 117.

⁴ - محمد بوشنتافي: المرجع السابق، ص 50.

⁵ - الداوي بابا أحمد: (1107-1110هـ/1695-1698م) عرف بطباعه الغريبة والطائشة، وقد انتشر في عهده الوباء في الجزائر ما أسفر عن مقتل 20 إلى 25 ألف شخص؛ عزيز سامح التر: الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة محمود علي عامر، ط1، دار النهضة العربية، لبنان، 1989، ص 451.

⁶ - الأوقية: وحدة قياس قاعدية تساوي 37.51 غرام؛ ناصر الدين سعيوني: الحياة الريفية، المرجع السابق، ص 305.

الفصل الثاني: النشاط الحرفي والخدمات للمزابيين بمدينة الجزائر

وهذا حين كان القمح بريال وثمان للصاع¹، ويبدو أن انتاج القمح كان وافرا في تلك السنة ما أدى إلى ارتفاع وزن الخبز.

ولم تقتصر عملية تحديد الوزن على الخبز فحسب، بل تعدت إلى مختلف الأنواع التي كانت تصنع وتباع في المخبزات كالبشماط والرضوم² والكعك، أما خبز الرضوم فحدد سنة 1108هـ/1698م بسبعة أواق بعد طهيته³ والكعكة حددت بخمسة أواق سنة 1109هـ/1697م.

أما عن سعر الخبز فكان هنالك اختلاف في سعره حسب الجهة المستقبلة له، و
الجدول التالي يبين ذلك:⁴

الفئة	عدد الخبزات	وزن الخبز	التمن
الجنود	3	14 أوقية	درهم واحد
الذميون	2	20 أوقية	درهم واحد
بقية سكان المدينة	/	/	بالتراضي بين البائع والمشتري

¹ - عبد الله بن محمد الشويهد: المصدر السابق، ص ص 66-67.

² - خبز الرضوم: وهو نوع من الخبز اعتاد يهود مدينة الجزائر وضعه أما م بيوتهم ويعتبر إحدى العادات المتوارثة في بعض أعيانهم الدينية، أما البشماط: فهو نوع من الخبز الخشن يحضره أصحاب الأفران خصيصا للجنس ؛ عبد الله بن محمد الشويهد: المصدر السابق، ص ص 54-68.

³ - نفسه، ص 68.

⁴ - نفسه، ص ص 61-67.

2- الرُّحى والطّاحونات:

كانت مدينة الجزائر تُشحن إليها الحبوب كالقمح والشعير من مناطق عديدة في

الإيالة¹، للاستهلاك المحلي أو تصديره للبلدان المجاورة عند تحقيق فائض في الإنتاج، وهذا

لتمتع الجزائر بموارد طبيعية هامة من خصوبة للأرض وتنوع في المناخ، ما جعل

محاصيلها تتميز بالكمية والنوعية في فترات كثيرة، كسهل متيجة الذي يقدم محصولين في

السنة الواحدة²، والهضاب العليا التي كانت تنتج نوعا جيدا من القمح عرف بالبليوني³.

وانطلاقا من هذا، فقد أُحصي في مدينة الجزائر عدد كبير من المطاحن خلال القرن

الثامن عشر للميلاد، إذ بلغ عددها من 25 إلى 30 طاحونة⁴ لرحي هذه الكميات الواردة

للمدينة، وتشير أغلب المصادر إلى أنّ المزابيين كان لهم حق احتكار الطاحونات⁵

وإدارتها⁶، وقد قَدَّر فونتير دو بارادي عددها حوالي 25 طاحونة، ما قد يجزم لنا أن معظم

طاحونات مدينة الجزائر كانت لهم دون سواهم⁷.

¹ - ناصر الدين سعيدوني: تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 163.

² - ج. أو. هابنسترايت: رحلة الألماني ج. أو. هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس (1145هـ/1732م)، ترجمة ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، تونس، ص 55.

³ - ناصر الدين سعيدوني: تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 174.

⁴ - محمد وقاد: جماعة بني مزاب وتفاعلاتها الاقتصادية والاجتماعية بمدينة الجزائر أواخر العهد العثماني (1700-

1830م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، الجزائر، 2009-2010م، ص 91.

⁵ - وليام شالر: المصدر السابق، ص 111.

⁶ - عبد القادر حللمي: المرجع السابق، ص 266.

⁷ - Venture De Paradis: Alger au 18 siècle, Op.cit., p.03.

الفصل الثاني: النشاط الحرفي والخدمات للمزابيين بمدينة الجزائر

وفي أغلب الأحيان تتواجد هذه الطاحونات بجوار أفران الخبز¹، نظرا لحاجة المخابز

لرحي القمح، ولم تكن طاحونات المزابيين موجهة لرحي القمح الخاص بمخابزهم فقط، بل كانوا أيضا المسؤولين على طحن الحبوب الموجهة للمخابز الخاصة بالجيجليين، إذ وقع في بداية القرن السابع عشر وبالتحديد سنة 1018هـ/1609م اتفاق بينهما يقضي بدفع أربع دراهم للصاع الواحد المرحي².

وقد عمل المزابيون على إرضاء زبائنهم وكسب ثقتهم من خلال التنويع في الخدمات

المقدمة للسكان، ففي إحدى وثائق سلسلة البايك وجدنا العبارات التالية: « عشر فرن

لابلابي³ قرب حمام طاق طاق بيد محمد بن موسى لمصابي⁴، « قصف فرينة أسفل العلوي

المذكور بيد عيسى المصابي⁵، «فرينة سيد محمد الشريف بيد أحمد المصابي⁶. ما دلّنا

على أن المزابيين لم يكتفوا فقط برحي الحبوب الموجهة لتلبية حاجيات المخابز من قمح

وفرينة، بل كل المواد الإستهلاكية القابلة للطحن والمطلوبة لدى السكان مثل « لابلابي » .

¹ - ناصر الدين سعيدوني: الحياة الريفية، المرجع السابق، ص 278.

² - عبد الله بن محمد الشويهد: المصدر السابق، ص 68.

³ - لابلابي: نوع من الحمص.

⁴ - أ.و.ج/س.ب/ع 21. س 117.

⁵ - أ.و.ج/س.ب/ع 21. س 118.

⁶ - أ.و.ج/س.ب/ع 21. س 117.

الفصل الثاني: النشاط الحرفي والخدمات للمزابيين بمدينة الجزائر

ولم يتوقف مدراء مطاحن المزابيين عند هذه الخدمة، بل كانوا يهتمون بنقل الحبوب¹ وإحضارها من بيوت زبائنهم إلى المطاحن، والعودة بها مجدداً إلى أصحابها وهي طحينة². وقد تميزت الطاحونات بمدينة الجزائر بشكلها المقيبب والنحيف والمسطح ذي الأقواس الثقيلة³، وقد كان يعتمد في طريقة عملها على الطاقة الحركية الناتجة عن طريق حركية المياه أو الهواء⁴ أو بالاعتماد على دفع الدواب، أما عن المزابيين فقد اعتمدوا على الطاقة الحركية للدواب واستعملوا الجمال والحمير فيها⁵.

3- الجزائر:

تشير كتابات كثيرة إلى أنّ همن بين الإمتيازات التي تحصل عليها المزابيون بمدينة الجزائر من السلطة العثمانية احتكار بيع اللحوم⁶، فقد وجدنا في بعض الوثائق الأرشيفية دكاكين معدة لبيع اللحم تحمل أسماء مزابية مثل: « حانوت للحم بكير »⁷، كما أوكلت إليهم السلطة حقّ الإشراف وتسيير المراكز الخاصة بالذبح⁸، وكل هذا مقابل تقديم اللحوم للجند

¹ - Diego De Haëdo: Topographie et Histoire Générale d'Alger, Op.cit., p.196.

² - الحاج موسى بن عمر: تجار مزاب في دار السلطان (خلفيات الحضور الاقتصادي والنفوذ السياسي)، مجلة الحياة، العدد 19، جمعية التراث، غرداية، الجزائر، 2015، ص 77.

³ - ناصر الدين سعيدوني: الحياة الريفية، المرجع السابق، ص 278.

⁴ - ناصر الدين سعيدوني: تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 190.

⁵ - Venture De Paradis: Op.cit., p.03.

⁶ - وليام شالر: المصدر السابق، ص 111؛ حمدان خوجة: المصدر السابق، ص 60.

⁷ - أ.و.ج.س.ب/ع 23 . س 152.

⁸ - ناصر الدين سعيدوني: تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 236.

الفصل الثاني: النشاط الحرفي والخدمات للمزابيين بمدينة الجزائر

الإنكشاري¹ بمبلغ زهيد²، يصل إلى الثلث من قيمته الأصلية في السوق³، وهذا يظهر جلياً بنص موجود في إحدى وثائق سجلات البايلك من محاسبات بين أمين المزابيين ومسؤول بيت المال بخصوص اللحوم والمواشي المستلمة: «الحمد لله تحاسب يوسف الميصابي [كذ] مع صاحب بيت المال بشأن اللحم الذي يأخذه وعلى رؤوس الضأن الذي هم يأخذونهم (...) عام 1788 ثم تحاسب الأمين بيت المالجي مع جماعة بني ميصاب [لذا] على ما وصل إليهم من اللحم (...) ثم قبض أمين بني ميزاب تسعة رؤوس ضأن من خليفة باي الغرب، ثم عنه أيضا 23 كبش»⁴.

وقد اتبعت شروط كثيرة لمزاولة أي مهنة في مدينة الجزائر، ويطلعنا قانون أسواق مدينة الجزائر على بعض القوانين المتبعة في مراكز الذبح، والذي ينص على توفر الخبرة في صاحب عملية الذبح⁵، ويبدو أن الجزارة من المزابيين كانوا موفين للشروط، إذ أنهم أسندوا عملية الذبح لمن يحسنها منهم أو من غيرهم⁶، تقاديا لاستخفاف بعض القصابين بهذه

¹ - كان الجند العثماني في الجزائر يتمتعون بمساعدات اقتصادية كثيرة، كالحصول على المواد الغذائية بأثمان زهيدة ورصيد يومي محدد من الخبز من الكواشة الجيليين، وهذا حسب المرتبة والأقدمية في صفوف الجند ؛ ناصر الدين سعيدوني: النظام المالي، المرجع السابق، ص 124.

² - Laugier De Tassy: Histoire Du Royaume d'Alger, Amsterdam., p. 207.

³ - ناصر الدين سعيدوني: النظام المالي، المرجع السابق، ص 124.

⁴ - عائشة غطاس: المرجع السابق، ص 248.

⁵ - عبد الله بن محمد الشويهد: المصدر السابق، ص 86.

⁶ - مختار حساني: المرجع السابق، ج2، ص 225.

الفصل الثاني: النشاط الحرفي والخدمات للمزابيين بمدينة الجزائر

العملية¹ وتطبيقا لأمر الشريعة الإسلامية²، كما ينصّ قانون آخر على قيمة 8 دراهم أجرة لكل رأس ماشية تذبح³.

وقد عثرنا على عقد⁴ بيع في سنة 1228هـ/1813م⁵، لمتجر خاص ببيع اللحوم تابع لجماعة بني مزاب الكائن قرب سوقة عمور بمدينة الجزائر⁶، ويبدو أنّ بعض المزابيين العاملين في القصابات كانت لهم شراكات مع بعضهم البعض في هذا المجال وهذا ما تخبرنا به إحدى وثائق المحاكم الشرعية: « حانوت في القديم تحت يد جماعة بني مصاب معدة لبيع اللحم»⁷.

وضمّاننا لوصول مادة اللحم لسكان المدينة وخصوصا الجند الإنكشاري التي تعتبر جزءا من حقوقه وأجرته، عملت سلطة البايلك على توفير المواشي للجزائريين المزابيين باستحواذهم على نصف كمية المواشي المستوردة إلى مدينة الجزائر، أما سماسرة السوق وموزعو الماشية فلكل منهما الربع⁸.

¹ - بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص 57.

² - إبراهيم بن بيحمان المصعبي: المصدر السابق، ص 18.

³ - عبد الله بن محمد الشويهد: المصدر السابق، ص 86.

⁴ - العقد: هو اتفاق بين طرفين له صيغة اللزوم بحيث يتحمل كل منهما ما يترتب عليه من تبعات وهو ما سمي في عصرنا بالمسؤولية العقدية؛ مصطفى أحمد بن حموش: فقه العمران الإسلامي، المرجع السابق، ص 86.

⁵ - ينظر إلى الملحق رقم 03.

⁶ - أ.و.ج/س.م.ش/ع 63 و 23.

⁷ - أ.و.ج/س.م.ش/ع 14 و 33.

⁸ - عبد الله محمد بن الشويهد: المصدر السابق، ص 85.

4- مقالع الحجارة وأفران الجير:

تميزت مدينة الجزائر بتنوع صناعاتها التحويلية، إذ كانت تتوفر على عدد كبير من أفران الجير ومقالع الحجارة¹، وكان نتاجا لعدة عوامل منها: نشاط الحركة العمرانية في المدينة كبناء المساجد والنكبات، واهتمام السكان بالفن المعماري كتبييض بيوتهم وتزيينها²، وقدم الأندلسيين إلى المدينة واحتكاكهم أعمال البناء فيها لمهارتهم في هذا المجال³. ويعتبر العمل في مقالع الحجارة وأفران الجير من المهن الشاقة والصعبة على أفرادها، ولذلك فقد كانت تُوكل عادة إلى الجماعات البرانية⁴، ومن بين هذه الجماعات جماعة المزابيين الذين اشتهروا بصناعة الجير في أفرانهم والعمل في مقالع الحجارة⁵، ولم يكن هذا الأمر بالجديد على المزابيين فقد كانت مواد البناء والجير والجبس من الصناعات السائدة في منشئهم بوادي مزاب⁶.

وقد ساهم المزابيون العامل ون بمقالع الحجارة وأفران الجير في بناء وترميم عدة مشاريع عمرانية خاصة وتابعة للبايلك أيضا، ففي وثيقة أرشيفية مؤرخة في سنة 1150هـ/1737م كانوا الممولين للتراب المستعمل في مشروع بناء أو ترميم شركة، إذ تطلعنا الوثيقة المذكورة على بيان لتسديد مصاريف لعدة جماعات حرفية كالبسكريين وبني

¹ - ناصر الدين سعيدوني: تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 189.

² - ناصر الدين سعيدوني: الحياة الريفية، المرجع السابق، ص 271.

³ - عائشة غطاس: الحرف والحرفيون، المرجع السابق، ص 233.

⁴ - ناصر الدين سعيدوني: تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 119.

⁵ - الحاج موسى بن عمر: تجار مزاب في دار السلطان، المرجع السابق، ص 79.

⁶ - بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص 42.

الفصل الثاني: النشاط الحرفي والخدمات للمزابيين بمدينة الجزائر

مزاب، حيث كانوا يعملون على تهيئة شركة لم يرد اسمها بشكل واضح، إذ بلغت مصاريف جماعة بني مزاب حوالي 3164، و 546 في مجموع آخر: « الحمد لله بيان ماخرج مصروف على شركة [كذا] سنة 1150هـ (...) جملة ما دفعه لبني امزاب من هذا حمالة الجير والتراب والكريش (...) وغيره سنة 1150هـ فالمجموع كان 3164ريال و 546 ريال في مجموع آخر»¹، وكما نلاحظ من الوثيقة أن المزابيين عملوا أيضا على حمل تلك المنتجات إلى أصحابها، نظرا لموقع أفران الجير ومقالع الحجارة التي عادة ما تكون خارج أسوار المدينة².

وكما تطلعنا إحدى وثائق المحاكم الشرعية الأخرى مؤرخة في نفس السنة³، على مساهمة المزابيين في تمويل البنائين بالمواد الأولية كالتراب والحصى الصغيرة لترميم الجامع الأعظم بمدينة الجزائر، وتحتوي الوثيقة على جملة من المصاريف المدفوعة للمزابيين جزاء أتعابهم في ذلك⁴.

وقد جاء في وثيقة أخرى ذكر لمصاريف أحد أفران الجير المدفوعة لعمالها، ووجدنا فيه عامل مزابي وهي كالتالي: « الحمد لله ذكر مصاريف الفرن المعد لطبخ الجير (...) خديم بريان»⁵. وتجدر الإشارة إلى أن المزابيين لم يكونوا يمثلون الطبقة العاملة لوحدهم في

¹ - أ.و.ج/س.ب / ع 30 . س 252.

² - مصطفى أحمد بن حموش: المدينة والسلطة، المرجع السابق، ص 170.

³ - ينظر إلى الملحق رقم 04.

⁴ - أ.و.ج/س.م.ش / ع 63 و 23.

⁵ - أ.و.ج/س.ب/ع 30 .س 253.

الفصل الثاني: النشاط الحرفي والخدمات للمزابيين بمدينة الجزائر

نشاطاتهم الإقتصادية، إذ أن ضآلة عددهم مقارنة بتوسّع حركتهم الإقتصادية كانت سبباً لتشمل عناصر أخرى من غير أفراد جماعتهم كالبسكريين والعيبد¹ السود².

5- صناعة أخرى:

من بين الصناعات المثيرة التي امتنها المزابيون بمدينة الجزائر هي مساهمتهم في إنتاج الذخيرة الحربية، ما تشير إليه عبارة: « مصنع البارود المزابي » وجاءت بهذا الشكل بالفرنسية: « Poudrière Mozabite » التي تضمنها مخطط لمدينة الجزائر في بداية الفترة الإستعمارية³، وهو شيء لم يكن بالغريب عنهم نظراً لإتقانهم لهذه الصناعة في منشئهم بوادي مزاب⁴.

¹ - كان العبيد يعدون من طبقة الدخلاء، وكان لهم قائد يتولى شؤونهم ويطلق عليه بـ(قايد الوصفان)؛ عبد الله بن محمد الشويهد: المصدر السابق، ص 67.

² - الحاج موسى بن عمر: تجار مزاب في دار السلطان، المرجع السابق، ص 79.

³ - الحاج موسى بن عمر: مزاب في العهد العثماني، المرجع السابق، ص 132.

⁴ - كان البارود في ذلك الوقت يصنع بطريقة عادية بدائية، حيث يجمع التراب الذي يكون مالحة من الأرض، ويوضع في إناء ويصب عليه الماء، ثم يغلي الماء إلى أن يصبح خائفاً ثم يؤخذ رطل منه ويخلط مع أربعة أرطال من الكبريت وأربعة أرطال من الفحم المستخرج من شجرة الدفلى، وهذه العناصر تخلط في غضون أربع ساعات فتصير باروداً؛ الحاج ابن الدين: رحلة الأغواط، تحقيق أبو القاسم سعد الله، طبعة خاصة، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص 90-91.

المبحث الثاني: النشاط الخدماتي

1- الحمامات:

احتوت مدينة الجزائر على عدد ضخم من الحمامات بلغت حوالي 148 حماما¹، إذ تعتبر من بين أهم المهن بالقطاع الخدماتي، لما توفره من خدمات جليلة لسكان المدينة وزوّارها، فهي مكان للاجتماعات والترفيه عن النفس وحتى لعقد الصفقات²، وهذا ما دفع بحكام الجزائر إلى الإهتمام والاستثمار في هذا المجال، فحسن بن خير الدين باشا شيد حماما يعتبر الأكثر استقطابا بالمدينة لضخامة وفخامة بنائه، كما قام محمد باشا بنفس العمل ولكن كان أقل منه بقليل³.

وبعد سنة 1541م إثر المشاركة الفعالة للمزابيين في حملة شارلكان⁴، أتيح لهم تسيير⁵ واحتكار جلّ الحمامات الموجودة بالمدينة⁶، وبالعودة إلى قانون أسواق مدينة الجزائر وتحليلنا لإحدى نصوصه سنة 1110هـ / 1698م: « واتفق رأيهم أن من خرج من حمام الجماعة المذكورة وتولى غيره كراء الحمام والذي خرج منه وكان المتولي من غير جماعة بني مزاب فلا يخرجون الطيابين الذي به، ولا يفسدونهم عليه ليبطل كراء الحمام الذي خرج منه ويكسد ويبخس فبذلك وقع اتفاقهم وأمرهم وانعقد كراء الحمامات من أرباحها على ذلك

¹ - الحاج موسى بن عمر: مزاب في العهد العثماني، المرجع السابق، ص 131.

² - ناصر الدين سعيدوني: تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 196.

³ - Diego De Haedo: Topographie et Histoire Générale d'Alger, Op.cit., p p. 197-196.

⁴ - E. Pellissier De Reyneud: Op.cit., p.80.

⁵ - إبراهيم بن بيجمان المصعبي: المصدر السابق، ص 18.

⁶ - Le Générale Dumas: Op.cit., p.136.

الفصل الثاني: النشاط الحرفي والخدمات للمزابيين بمدينة الجزائر

سنة 1110¹». وجدنا بالفعل أن المزابيين كانوا يسيرون الحمامات بمدينة الجزائر، ولكن كان إذا وجد حماما لم تستطع الجماعة تسييره سواء لنقص الموارد المالية أو لعدم توفر اليد العاملة، خاصة ونحن نعلم أن المزابيين كان عددهم ضئيلاً في المدينة مقارنة بنشاطاتهم²، فإنّ بإمكان الجماعات الأخرى القيام بهذه المهمة، كما استنتجنا أيضاً أن الحمامات لم تكن ملكاً خاصاً للمزابيين، بل كانوا يقومون بلكائها من أصحابها وهذا ما وجدناه في إحدى الوثائق الأرشيفية « الحمد لله استرجع المصابي معمر حمام الباشا »³. فيبدو من خلال النص أن المدعو « معمر » قد قام ببراء حمام الباشا.

كما لا يمكن أن نجزم باكتفاء المزابيين ببراء الحمامات فقط بل كان بإمكانهم أيضاً امتلاكها⁴، وهذا بحكم أنهم كانوا الأكثر ثراء من بين الجماعات الوافدة للمدينة⁵، وأيضاً لا يزال عددٌ منها بالجزائر العاصمة إلى اليوم ملكاً لهم⁶.

– أسماء بعض مالكي الحمامات من المزابيين :

¹ – عبد الله بن محمد الشويهد: المصدر السابق، ص 91.

² – الحاج موسى بن عمر: تجار مزاب في دار السلطان، المرجع السابق، ص 79.

³ – أ.و.ج/س.ب/ع 21 . س118.

⁴ – ينظر إلى الملحق رقم 05.

⁵ – A.Devoulx: Op.cit.,p.33.

⁶ – الحاج موسى بن عمر: مزاب في العهد العثماني، المرجع السابق، ص ص 130-131.

الفصل الثاني: النشاط الحرفي والخدمات للمزابيين بمدينة الجزائر

الحمامات	صاحبها	المصدر أو المرجع
حمام سيدنا	بكير بن عمر ¹	Don Diego De Haëdo: Topographie et Histoire Générale d'Alger, Op.cit.,p.196.
حمام أسفل مسجد حسن باشا	ابراهيم المصابي ²	عائشة غطاس: الحرف والحرفيون، المرجع السابق، ص 248.
حمام باب الواد	أحمد بن ابراهيم لمصابي	
حمام قرب القصبة	باكير المصابي	
حمام الباشا	المصابي معمر	س ب . ع 21 . س 118
حمام طاق طاق	بيد محمد المصابي	س ب . ع 21 . س 118
حمام الجينية	عمر المصابي ³	س ب . ع 21 . س 118
عشر حمام طاقطاق	صالح المصابي	س ب . ع 23 . س 152.

¹ - بكير بن عمر: كان أمين جماعة المزابيين، ولم ترد الفترة الزمنية التي شغلها، قام بكَراء حمام سيدنا لعدة سنوات ولما توفي ورثه ابنه وهذا الحمام يقع وسط المدينة؛ للمزيد ينظر:

Diego De Haëdo: Topographie et Histoire Générale d'Alger, Op.cit.,p.196.

² - يبدو أن لهذا الحمام أهمية كبيرة بسبب تواجد جوار المسجد، وهذا مادعى الجماعة بالتمسك به، حيث تعاقب عليه عدة أفراد منهم مثل: أحمد المصابي بن قاسم ثم بعد ذلك عيسى مصابي؛ أ.و.ج/س. ب/ ع 19 . س 105؛ أ.و.ج/س. ب/ ع 23 . س 152.

³ - كان يسير هذا الحمام أيضا المدعو: يحيى أبو أحمد المزابي؛ أ.و.ج/س. ب/ ع 19 . س 106.

الفصل الثاني: النشاط الحرفي والخدمات للمزابيين بمدينة الجزائر

حمام الشويهد	بيد بكير	س ب . ع 23 . س 152.
--------------	----------	---------------------

- نظام تسيير الحمامات:

ذُكرت حمّامات مدينة الجزائر في الكثير من كتب الرّحالة الذين زارو المدينة، حيث

اتفق مُعظمهم على مدحها لما تقدمه من خدمات راقية¹، فيذكرها الرّحالة الألماني

هابسترايت قائلا: «حمامات مدينة الجزائر مريحة ومزينة والذين يستعملونها تقدّم لهم

خدمات جيدة»²، وقد صبّ هذا المدح في شأن النظام الدقيق التي تميزت به هذه

الحمامات³، حيث كانت أوقات العمل تبدأ منذ الصباح الباكر إلى غاية المغرب، إذ قسمت

إلى فترتين: فترة صباحية كانت تخصّ الرجال وفترة مسائية كانت للنساء⁴، وبداية من سنة

1177هـ/1744م وقع نوع من احترام الحريات، فقد عُزلن النساء المتديّئات من المؤمسات،

فخصّص للمتديّئات الفترة الممتدة من منتصف النهار إلى غاية العصر، أمّا المؤمسات فكان

وقتهن من العصر إلى غاية المغرب⁵.

وعن الخدمات المقدمة داخل غرف الإستحمام، فقد وُفّر للزّوار من الرجال بعض

العمال للقيام بالتدليك أو ما يطلق عليهم بالطيّابين الذين عادة ما يكونون من الزنوج، كما

¹ -جون. ب. وولف: الجزائر وأروبا (1500-1830)، ترجمة وتعليق أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 152.

² - هابسترايت: المصدر السابق، ص 37.

³ -جون. ب. وولف: المرجع السابق، ص 152.

⁴ - Diego De Haëdo: Topographie et Histoire Générale d'Alger, Op.cit.,p. 197.

⁵ - عبد الله بن محمد الشويهد: المصدر السابق، ص 130.

الفصل الثاني: النشاط الحرفي والخدمات للمزايين بمدينة الجزائر

كان هنالك بعض النساء أو الوصيفات لتقديم المشروبات للزبائن¹، أما عن الزائرات من النساء فقد كانت تقدم لهن نفس الخدمات وعن عملية التدليك فقد كانت تقدم لهن من طرف الزنجيات².

وعن الضريبة المفروضة على الحمامات التي كان يقدمها أصحاب الحمامات

للأمين، فلم تحدد قيمة ثابتة عليهم فكل واحد حسب استطاعته وهذا منذ سنة

1101هـ/1689م³، على عكس العمال فيها إذ كانت تفرض عليهم ضريبة سنوية تقدر

بـ53.5 ريال⁴.

2- إدارة الفنادق:

أصبحت مدينة الجزائر مركزا اقتصاديا هاما بفضل تنوع الأنشطة التجارية والحرفية

الممارسة في المدينة⁵، فأضحت ملتقى لتوافد عناصر داخلية محلية و أخرى خارجية أجنبية

عليها، فكان لزاما على السلطة توفير مكان لإقامة واسترخاء الزوار أثناء إقامتهم بالمدينة

كالفنادق التي تتواجد عادة بالقرب من الأسواق⁶.

¹ -جون. ب. وولف: المرجع السابق، ص 152.

² - Diego De Haëdo: Topographie et Histoire Générale d'Alger, Op.cit.,p. 197.

³ -عبد الله محمد الشويهد: المصدر السابق، ص 74.

⁴ - نفسه، ص 114.

⁵ - مؤيد محمود حمد المشهداني وسلوان رشيد رمضان: أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني (1518-1830)، مجلة

الدراسات التاريخية والحضارية، العدد 16، جامعة تكريت، العراق، 2013، ص 423.

⁶ - ناصر الدين سعيدوني: تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 196.

الفصل الثاني: النشاط الحرفي والخدمات للمزابيين بمدينة الجزائر

وقد تميزت فنادق مدينة الجزائر بهيكلتها الخاصة، إذ كانت تحتوي على طابقين،

فالطابق الأرضي كان عبارة عن إسطبلات تتوى فيها الدواب كالأحصنة والبغال والجمال

ويستعمل كذلك كمستودعات للسلع، أما عن الطابق العلوي فكان مجموعة من الغرف

يستأجرها المسافرون للمدينة كمكان للإقامة فيها إلى حين مغادرتهم المدينة¹، وقد كانت هذه

الفنادق ملجأ لكل الطوائف الوافدة إلى المدينة من مسيحيين ومسلمين ويهود، ولكن خلال

القرن 17م أنشأ القناصل الأوروبيون نوعا من المنازل أو الفنادق لتخزين البضائع وإقامة

رعاياها ولإدارة الأعمال القنصلية والقيام بالوظائف الدينية².

أما عن إدارة هذه الفنادق فقد كانت تسير من طرف القطاع الخاص³، وقد وجدنا في

إحدى الوثائق الأرشيفية ذكرا لإحدى الفنادق الكائنة بمدينة الجزائر والتي كانت بيد أحد أفراد

جماعة بني مزاب والمدعو « المحرز المزاب »⁴، كما أن فندق المحتسب الموجود بجوار

جامع كتشاوة كان بيد جماعة بني مزاب خلال سنة 1173هـ/1759م⁵، ويبدو أن بعض

المزابيين الوافدين للمدينة قد قامو ببراء غرف للإقامة فيها واكتراء مخازن لسلعهم، إذ تطلعنا

نفس الوثيقة أن المدعو « ابراهيم المصابي بن عيسى » كان بيده مخزن بـ « فندق العزار »،

¹ - محمد وقاد: المرجع السابق، ص ص 117 - 118.

² - جون. ب. وولف: المرجع السابق، ص 152.

³ - محمد وقاد: المرجع السابق، ص 118.

⁴ - أ.و.ج.س. ب/ع 21. س 117.

⁵ - محمد وقاد: المرجع السابق، ص 119.

الفصل الثاني: النشاط الحرفي والخدمات للمزابيين بمدينة الجزائر

كما كان يقيم في فندق العريش بالغرفة الحادية عشر شخص يدعى « خليل بكير » والذي يفترض أن يكون مزابياً¹.

3- النقل:

يبدو أن النشاطات الاقتصادية بمدينة الجزائر كانت تخضع لمبدئ الطبقة²، إذ أن جلّ الخدمات الشاقة عديمة الأهمية كانت توكل للجماعات البرانية عن البلد³ كمهنة نقل البضائع (الحمالة)⁴، التي اهتمّ بها وامتتهنها كل من جماعتي بني مزاب⁵ والبساكرة.

و نعتقد أن الجماعتين قد تقاسمتا نقل المواد بينهما، فالبساكرة مثلاً كانوا يحمّلون بضائع عديدة كالخبز⁶ والمياه⁷، أمّا المزابيون فكان لهم نقل القمح⁸ والفحم⁹ والجير ومواد البناء¹⁰، وهذا وفقاً لما اطلعنا عليه فقط إذ يمكن أن يكون مجال التخصص بالنسبة للبسكاريين أكثر من هذا، فعندما نلاحظ المواد التي يتم نقلها في كلا الجماعتين، نستنتج أن المزابيين كان امتهانهم لأي حرفة يعني تقديم كل الخدمات المتعلقة بها أو ما يسمى في

¹ - أ.و.ج/س.ب/ع 21. س 117.

² - نلاحظ أن أهل الحضر (البلدية) كانوا يعزفون عن المهن التي يجدونها حقيرة، كنقل البضائع وحرفة الحمار، حيث كان الحمار يقوم ببيع الدواب بالمدينة ويتاجرها للغير، والتي قد اقتسمها كل من العنصر التلمساني والقسنطيني والمغربي ؛ عائشة غطاس: الحرف والحرفيون، المرجع السابق، ص 251.

³ - ناصر الدين سعيدوني: تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 119.

⁴ - ناصر الدين سعيدوني: النظام المالي، المرجع السابق، ص 299.

⁵ - A.Devoulx: Op.cit.,p.33.

⁶ - وليام شالر: المصدر السابق، ص 101.

⁷ - عبد القادر حليمي: المرجع السابق، ص 266.

⁸ - Diego De Haedo: Topographie et Histoire Générale d'Alger, Op.cit.,p.196.

⁹ - A.Devoulx: Op.cit.,p.33.

¹⁰ - أ.و.ج/س.ب/ع 30 . 252.

الفصل الثاني: النشاط الحرفي والخدمات للمزابيين بمدينة الجزائر

عصرنا الحالي بـ (خدمات ما بعد البيع)، على عكس الجماعات الحرفية الأخرى كالبازين الجيجاليين الذين كانوا يقدمون الخبز للثكنات¹، نجدهم قد آثروا القيام بهذه الخدمة لصالح البسكريين، ما يدفعنا للقول أن جماعة البساكرة كان بيدهم نقل كل البضائع المتوفرة بالمدينة، ماعدا ما يتعلق بالمواد التي يمتنعها المزابيون.

أما بخصوص آليات النقل فقد كانت تستعمل الدواب لقدرتها دخول أزقة المدينة الضيقة، ولأنها كانت متوفرة في الجزائر بأعداد ضخمة كالأبقار والخيول والبغال والحمير والتي كانت تربط عادة بعربات لجرها²، وبخصوص جماعة بني مزاب فقد كانت تستعمل الحمير في نقلهم للبضائع³، حيث كانت تقرض عليهم ضريبة أسبوعية تقدر بـ 5 سنتيمات⁴، على عكس البسكريين الذين كان باستطاعتهم استعمال جَلّ الدواب نظرا لمقدرتهم على ترويضها⁵، وتجدر الإشارة إلى أنه ورغم ما تتميز به هذه المهنة من تعب ومشقة، إلا أن أصحابها كانوا يزاولون العمل طيلة أيام السنة وحتى في نهار شهر رمضان المعظم⁶.

ويخبرنا قانون الأسواق بإحدى القوانين التي كانت مفروضة على أصحاب هذه

المهنة ففي سنة 1045هـ/1635م، مُنع ناقلو الزيت والحبوب والجير بالمتاجرة بهذه المواد

¹ - ينظر إلى الفصل الثاني، المبحث الثاني.

² - ناصر الدين سعيدوني: تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 178.

³ - Diego De Haëdo: Topographie et Histoire Générale d'Alger, Op.cit.,p.196.

⁴ - Lespès (r):Op.cit., p.202.

⁵ - عبد القادر حليمي: المرجع السابق، ص 266.

⁶ - هابنسترايت: المصدر السابق، ص 48.

الفصل الثاني: النشاط الحرفي والخدمات للمزايين بمدينة الجزائر

في المواقع التالية: « فندق الزيت الحمال ما يتجرشي، رحبة الفحم الحمال ما يتجرشي. رحبة الزرع الحمال ما يتجرشي» والمتعدي على هذا القانون كان يحرم من وظيفته¹.

ومن خلال ما سبق توصلنا إلى أن المزايين قد اشتغلوا بعدة مهن قدّمت لهم من طرف السلطة العثمانية، فاحتكروا بعضها دون غيرهم كالعمل في مراكز الذبح وإدارة الرّحى في المدينة بالإضافة إلى إدارة الحمامات، أما بعض الاحتكارات التي قدمت لهم فكانوا يتقاسمونها مع جماعات أخرى كالعمل في المخازن، أين اختص المزايون ببيع الخبز لسكان المدينة والجواجلة فكانوا يقدّمونه للجند الإنكشاري، وكذلك الفنادق التي كان يشاركون فيها بعض عناصر المدينة.

ورأينا أن المزايين قد عملوا في مجالات أخرى، إما للتتويج في الخدمات المقدمة للزبائن كالعمل في النقل أو بحكم المناصب الشاغرة في ذلك المجال، كالعمل في مقالع الحجارة والجير، حيث كان مثل هذه المهن ينفر منها أهل المدينة لشقائها.

¹ - عبد الله بن محمد الشويهد: المصدر السابق، ص 70.

الفصل الثالث: النشاط التجاري والاستراتيجيات الاقتصادية للمزابيين بمدينة الجزائر

المبحث الأول: تجارة المزابيين بمدينة الجزائر

المبحث الثاني: التجارة الخارجية لمزابيي مدينة الجزائر

المبحث الثالث: استراتيجيات اقتصادية للمزابيين بمدينة الجزائر

الفصل الثالث: النشاط التجاري والاستراتيجيات الاقتصادية للمزابيين بمدينة الجزائر

كان لحركة التبادل التجاري على الصعيدين الداخلي والخارجي أثر مباشر على

الأوضاع الاقتصادية والسياسية للإيالة الجزائرية¹، فالتجارة الداخلية كانت تتم داخل المدن أو بواسطة الأسواق الأسبوعية والسنوية في الأرياف، وقد عمل الحكام العثمانيين على تشجيعها لفرض نفوذهم على القبائل المتمردة عن سلطتهم، وهذا عندما تضطرها الحاجة إلى مبادلة إنتاجها الحيواني والزراعي بما تحتاجه من سلع وبضائع في الأسواق الخاضعة للبيك². كما تعتبر إيالة الجزائر منطقة عبور وملقى تجارة السودان وأوروبا، ومكانا لمقايضة بضائع المغرب الأوسط والأقطار العثمانية، فساعد على انتعاش الواحات الصحراوية كمتيلي ومزاب وورقلة³.

ولقد لعب المزابيون دور مهم في التجارة على الصعيدين الداخلي والخارجي، وتميز نشاطهم التجاري والاقتصادي عامة بنظم واستراتيجيات، يمكن استنتاجها من خلال متابعة نشاطهم بمدينة الجزائر.

- فما هي نوعية الأنشطة التجارية التي مارسها المزابيون داخل وخارج مدينة الجزائر؟

وماهي الاستراتيجيات التي انتهجوها أثناء نشاطهم التجاري والاقتصادي بالمدينة؟

¹ - ناصر الدين سعيدوني: النظام المالي، المرجع السابق، ص 36.

² - ناصر الدين سعيدوني: تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 200..

³ - ورقلة: (أو وارجلان) تتميز بواحاتها وآبارها الكثيرة يسكنها وأصلهم من بني سيسين وبني واجين وبني ابراهيم؛ أحمد توفيق المدني: جغرافية القطر الجزائري، المرجع السابق، ص 108.

المبحث الأول: تجارة المزابيين بمدينة الجزائر

كانت الشؤون التجارية بمدينة الجزائر من اختصاص فئات معينة من المجتمع، إذ نجد كلا من مسلمي الأندلس واليهود قد تميزوا في التجارة¹، فاليهود تحصّلوا على ثروات ضخمة نتيجة ممارسة السمسرة والربا والقيام بدور الوساطة في كل العمليات التجارية مهما كانت بسيطة أو تافهة، أدّت إلى أن أصبح البعض لا يستطيع أن يبيع دجاجتين بدون وساطة مأجورة من أحد اليهود².

ورغم هذا فقد كانت تسير بعض محلات المواد الإستهلاكية أفراد من الجماعات البرانية المختلفة مثل القبائل والمزابي ين والجلييين³، وتطلعنا وثائق أرشيفية على امتلاك المزابيين لبعض المحلات التجارية، بل وقد وجدنا بعضا منهم امتلكوا ثروات لا يستهان بها في هذا المجال، كالمدعو « بكير لمصابي » الذي امتلك محلّين تجاريين ولم يذكر نوعية النشاط الممارس فيهما: « حانوت خارج باب عزون الصايرة ثان حانوتين الأولى منهما بيد باكير مصابي وثا خرى [المتجر الثاني] بيد باكير المصابي المذكور أيضا »⁴، كما كان للمدعو « المحرز المزاب » محل تجاري بالإضافة إلى امتلاكه لإحد فنادق مدينة الجزائر: « حانوت هناك وفندق بيد المحرز المزاب »⁵.

¹ - محمد وقاد : المرجع السابق، ص 81.

² - ناصر الدين سعيدوني: النظام المالي، المرجع السابق، ص 44.

³ - محمد وقاد : المرجع السابق، ص 81.

⁴ - أ.و.ج/س.ب/ع 19 . س105.

⁵ - أ.و.ج/س.ب/ع 21. س117.

الفصل الثالث: النشاط التجاري والاستراتيجيات الاقتصادية للمزابيين بمدينة الجزائر

ولم يكن كل المزابيين العاملين في المحلات التجارية يملكون عقد شراء محلاتهم ، فلقد كان البعض منهم يكتفي باكترائها¹، إذ ذكرت عدة محلات تجارية تابعة لمؤسسة الحرمين الشريفين² أو مؤسسة الأندلس³، كان عقد كرائها بيد أحد أفراد جماعة المزابيين، فالمدعو « موسى الفحام المصابي » الذي ورد اسمه تحت عنوان «ذكر العلويات المشتركة بين فقراء الحرمين والأندلس ومحصل غلاتها» كان يسير إحدى المحلات التجارية التابعة للمؤسستين بسوق السمن⁴.

وتجدر الإشارة إلى أنه قد صادف في بعض الوثائق الأرشيفية، من المزابيين من كان لهم شراكة في الإستثمار بالمحلات التجارية مع بعض الأفراد، ف المدعو « عيسى المصابي » كان من نصيبه ثلثين من محل تجاري متواجد خارج باب عزون⁵، ولم نستطع أن نتبين هل كانت هذه الشراكة مع أحد أفراد جماعة بني مزاب أم مع أفراد آخرين خارج الجماعة ؟ ولا نستبعد أن يكون الشريك من جماعة أخرى فقد كانت هنالك بعض الشراكات بين المزابيين وبعض الجماعات الأخرى ، أما عن نوعية النشاطات التجارية التي مارسها المزابيون داخل محلاتهم التجارية، فهي كالتالي:

¹ - عمار بن خروف: المرجع السابق، ص 42.

² - مؤسسة الحرمين الشريفين: هي مؤسسة تهتم بالأوقاف في الجزائر، وتحبس لصالح فقراء مكة والمدينة، وتحتل هذه المؤسسة من حيث عدد عقاراتها المركز الأول في الجزائر؛ مصطفى أحمد بن حموش: المدينة والسلطة في الإسلام، المرجع السابق، ص 120.

³ - مؤسسة الأندلس: قامت هذه المؤسسة منذ بداية المسألة الأندلسية ، حيث كان يقوم أغنياء هذه الجالية بوقف أملاكهم على إخوانهم اللاجئين الأندلسيين بغرض مساعدتهم في محنتهم؛ نفسه، ص 122.

⁴ - أ.و.ج/س.ب/ع 19 . س 105.

⁵ - أ.و.ج/س.ب/ع 21. س 117.

- بيع المواشي:

من بين المعاملات التجارية التي مارسها المزابيون بمدينة الجزائر تجارة المواشي وبالضبط بيع البقر والغنم¹، وقد امتهن المزابيون هذا النوع من التجارة لتشجيع السلطة العثمانية لهم، فيخبرنا قانون أسواق مدينة الجزائر أنه خلال سنة 1045هـ/1635م، وضع قانون يقضي أن يُقدم للمزابيين كل البقر الوافد للمدينة إذا كانت قيمته أقل من خمس ريات: « قانون الوزايعن البقر (...) وإذا كان من خمس لتحت فهو لبني مزاب باش يعمر السوق »²، ولقد كانت مثل هذه التشجيعات للمزابيين نتاج تقانيهم في العمل ونزاهتهم وحرصهم على إتقان العمل الموكل إليهم³.

وفي بعض الأحيان كانت الماشية الواردة إلى المدينة ت وُخذ إلى دار الإمارة، فكان توزيعها يختلف عند وجودها في السوق ، فكانت تقسّم بالتساوي بين المزابي ين واليهود والجلالين فكان لكل منهم الربع⁴، وفي إحدى قطعان المواشي الواردة للمدينة سنة 1110هـ/1698م، أرسل بابا حسن إلى شيوخ بني مزاب بأن يستلموها لوحدهم فقط⁵، مع تقديم درهم كضريبة لكل شاة للمحتسب⁶.

- بيع الفواكه:

¹ - عمار بن خروف : المرجع السابق، ص 44.

² - عبد الله بن محمد الشويهد:المصدر السابق، ص ص 63-64.

³ - ناصر الدين سعيدوني: تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 236.

⁴ - عبد الله بن محمد الشويهد: المصدر السابق، ص 63.

⁵ - نفسه، ص 86.

⁶ - موسى لقبال: المرجع السابق، ص 99.

الفصل الثالث: النشاط التجاري والاستراتيجيات الاقتصادية للمزابيين بمدينة الجزائر

لقد اختار بعض أفراد المزابيين أن يجعلوا من محلاتهم، محلات خاصة ببيع

الفواكه¹، خاصة وأن مدينة الجزائر كانت تتوفر على ثروات زراعية كبيرة من عنب وبرتقال

ولوز²، فتخبرنا إحدى وثائق المحاكم الشرعية أن المدعو: «عيسى الفكاه ابن ابراهيم مليكي»

المنحدر من مدينة مليكة إحدى قصور وادي مزاب كان قد أعدّ متجره لبيع الفواكه فقط³.

ومن بين الفواكه التي تميز في تجارتها المزابيون نجد التمر، وخاصة أنهم كانوا ممن

يجلبونه إلى مدينة الجزائر، وقد نال هذا التمر إعجاب بعض المتساكنين في المدينة ،

كالقنصل الأمريكي في الجزائر حيث قال: «كثيرا ما أشتري منهم تمرا من أرفع الأنواع يتكون

من عناقد تغلف في جلد معزة جاف ويتراوح وزنها بين ستة وثمانية أرطال، وذلك بسعر أقل

من دولار واحد»⁴، ولم يكن التمر يقدم على هيئته الطبيعية فقط بل كان على أشكال عدة ،

عرفت ببعض الأسماء كالمعجونة وهو الغرس والمكتشي وهو نوع من التمر يعرف بانكماشه

وشدة حلاوته⁵.

- البقالات:

امتلك المزابيون في مدينة الجزائر عددا من البقالات⁶، حيث كانوا يبيعون فيها السكر

والبنّ والملح وغيرها من المواد¹، وتذكر المصادر أنهم كانوا الوحيدين بالمدينة في بيع

¹ - عمار بن خروف: المرجع السابق، ص 44.

² - هابنسترايت: المصدر السابق، ص 50.

³ - أ.و.ج/س.م.ش/ع 63. و 23.

⁴ - وليام شالر: المصدر السابق، ص 112.

⁵ - نفسه، ص 64.

⁶ - Venture De Paradis: Op.cit., p.14.

الفصل الثالث: النشاط التجاري والاستراتيجيات الاقتصادية للمزابيين بمدينة الجزائر

التوابل²، فلقد تجار المزابيين الملقب بالناصر كان قد اشترى من تونس 180 رطلا من الزعفران³.

- بيع الفحم:

احتكرت جماعة القبائل في مدينة الجزائر صناعة الفحم⁴، ويبدو أن هذه الجماعة كان اختصاصها صنع الفحم فقط، أما عن عملية تسويقه فكانت متاحة لباقي أفراد مجتمع مدينة الجزائر، فقد كان المزابيون من بين هؤلاء المشتغلين في بيع الفحم⁵، فتطلعنا إحدى الوثائق الأرشيفية بهذا النص: « داوود مصابي الفحم »⁶، فالراجح أن المدعو « داود » كان يعمل في متجر لبيع الفحم.

ومن النشاطات الأخرى التي مارسها المزابيون في محلاتهم التجارية ، العمل في المقاهي⁷، وبيع القماش⁸، كما أننا وجدنا أن فرداً من جماعة بني مزاب ينحدر من مدينة بريان قد كان يعمل طبّاخاً⁹.

¹ - محمد وقاد: المرجع السابق، ص 140.

² - Venture De Paradis: Op.cit., p.30.

³ - محمد وقاد: المرجع السابق، ص 140.

⁴ - عائشة غطاس: الحرف والحرفيون، المرجع السابق، ص 250.

⁵ - A.Devoulx: Op.cit., p.33.

⁶ - أ.و.ج/س.ب/ع 21.س 118

⁷ - ناصر الدين سعيدوني: تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 236.

⁸ - عمار بن خروف: المرجع السابق، ص 44.

⁹ - أ.و.ج/س.م.ش/ع 14.و 33.

المبحث الثاني: التجارة الخارجية لمزابيي مدينة الجزائر

كان المزابيون يقومون بالتجارة بين داخل إيالة الجزائر وخارجها¹، حيث مكّن الحكّام العثمانيين جماعة بني مزاب بمدينة الجزائر من استيراد بضائع إفريقيا السوداء² كالسودان³ وغدامس⁴، ويبدو أن التجار المزابيين بمدينة الجزائر لم يكتف في تجارتهم خارج الإيالة مع هذه المناطق فقط، بل كانت لهم أيضا تجارة مع الضفة الشمالية للبحر المتوسط، حيث أظهرت السجلات القنصلية الفرنسية لسنة 1785م، أن المدعو سيدي موسى المزابي كان قد استأجر سفينة تجارية فرنسية قد يكون عبر بها الموانئ الفرنسية⁵، كما اعترفت السلطة العثمانية للمزابيين بمعاهدات مكتوبة على كونهم الوسيطاء في التجارة⁶ مع واحات الجنوب كورقلة⁷.

¹ - عبد القادر حليمي: المرجع السابق، ص 266.

² - عمار بن خروف: المرجع السابق، ص 45.

³ - السودان: يبتدئ شرقا بمملكة كاوكا ويمتد غربا إلى مملكة ولاتة، ويتاخم في الشمال صحراء ليبيا وينتهي جنوبا إلى المحيط، وتحتوي على ممالك عديدة تابعة لثلاث ملوك، ملك تمبكتو وملك بورنو وملك كاوة؛ الحسن الوزان: المصدر السابق، ص ص 29-33.

⁴ - Lespés (r): Op.cit., p.202.

⁵ - عائشة غطاس: التجار الجزائريون من خلال سجلات القنصلية الفرنسية (1636-1830)، المجلة التاريخية المغربية، العددان 61 و62، تونس، 1991، ص 131.

⁶ - وليام شالر: المصدر السابق، ص 111.

⁷ - Lespés (r): Op.cit., p.202.

الفصل الثالث: النشاط التجاري والاستراتيجيات الاقتصادية للمزابيين بمدينة الجزائر

وقد كان وراء منح الإيالة هذه الإمتيازات للمزابيين هو تنشيط المبادلات الإقتصادية

في البلاد¹ وخارجها، وهذا بعد أن وجدت فيهم السلطة بعض العوامل المساعدة في تحقيق

أهدافهم السياسية والإقتصادية ضمن التبادل التجاري، ويمكن أن نحصر هذه العوامل في:

- معرفتهم الجيدة بالطرق التجارية في البلاد وخارجها، فصاروا يقدمون المعلومات التي

يحتاجها الأشخاص في سفرهم².

- شهرتهم في تلك الفترة بإتقانهم للتجارة، وامتلاكهم لمهارات التعامل مع السودان وأهلها³.

- أضحى موطن جماعة بني مزاب منطقة عبور، ومحطة استراحة ومخازن موقفة لمختلف

المصنوعات والمحاصيل⁴ أهله لذلك موقعه الإستراتيجي، ناهيك عن الخدمات المقدمة من

حلقة العزابة لأرباب القوافل، إذ أنهم إذا اضطروا للبقاء في المدينة كانت تكفل بإقامتهم وأداء

ضرورياتهم بدون أيّ مقابل⁵.

- العلاقات المستقرة بين الإيالة ووادي مزاب⁶، مع العلاقة الطيبة والثقة المتبادلة بين

المزابيين والسلطة العثمانية، ولعل ما يصور لنا هذه العلاقة ناطق باسم تجار المزابيين

ببليالك التيطري بالمدينة في رسالة إلى السلطات الفرنسية جاء فيها: « فصاروا يخدم

¹ -ناصر بالحاج: المرجع السابق، ص 355.

² -Lespés (r):Op.cit., p.202.

³ - مارمول لثوخال: إفريقيا، ترجمة محمد حجي وآخرون، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، المغرب، 1989، ج3، ص164.

⁴ - ناصر الدين سعيدوني: تاريخ الجزائر، ص 198.

⁵ -حمو عيسى النوري: المرجع السابق، م1، ص ص 169-170.

⁶ - وليام شالر: المصدر السابق، ص103.

الفصل الثالث: النشاط التجاري والاستراتيجيات الاقتصادية للمزابيين بمدينة الجزائر

صناعيهم ويعمرون بلادهم فنسبت تلك البلاد إلينا كما نسبت إلى الترك فصار بيننا وبينهم حسن المعاشرة والمحبة العظيمة فصاروا لا يامنوا في تلك العمالة إلا بني مزاب ولا نباع عندهم لا بالقليل ولا بالكثير سلطان عن سلطان وديوان عن ديوان لاننا كالجسد الواحد من أراد شرهم أراد شرنا»¹.

ولقد كانت القوافل المزابية التجارية تتعرض لمشاكل وصعوبات كثيرة كغيرها من القوافل الصحراوية ، ومن هذه المشاكل قلة المياه² واللصوصية، وقد وصف شارل أما الإنتهاكات التي كانت تتعرض لها قوافل المزابيين بقوله: «عرب الصحراء يتعرضون لقوافل المزابيين دون شفقة ولا رحمة»³، ما دفع بالمزابيين بالخضوع لهم ودفع الضرائب⁴ مقابل عدم التعرض لقوافلهم التجارية⁵.

أمّا عن طريقة البيع والشراء فكانت تتم عن طريق المبادلات، حيث كان التجار يستبدلون المواد المتوفرة في مدينة الجزائر كالحبوب والزيوت والمواشي، بمواد أخرى كانت

¹ - مجهول: رسالة من أحد أعيان المدينة المزابيين إلى السلطات الفرنسية، المصدر السابق، رقم 1324/1.

² - يحي بوعزيز: تاريخ إفريقيا العربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ص 49-50.

³ - Charles Amat :Op.cit.,p.201.

⁴ - كان التجار يحصلون على ضمانات للأمن بعد دفعهم إتاوات مهمة لقبائل الرّجل، وهذه الحماية قد تتخذ شكل اتفاقية يقوم بتحرير بنودها طالب المنطقة، ويصبح شيخ القبيلة المحامي وبموجبها، مسؤولا عن كل ضرر يلحقه مواطنوه بمصلحة التاجر المحمي، وهو يتعهد بأن يعيد كل ما يسرق منه من البضائع؛ اسماعيل العربي: الصحراء الكبرى وشواطئها، مؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1982، ص 49.

⁵ - الحسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص135.

الفصل الثالث: النشاط التجاري والاستراتيجيات الاقتصادية للمزابيين بمدينة الجزائر

موجودة في بلاد السودان¹، ويمكن أن نذكر أهم هذه المواد الواردة إلى مدينة الجزائر

والصادرة منها والتي اختص فيها المزابيون:

- السلع المزابية الصادرة خارج مدينة الجزائر:

• المواد الإستهلاكية: كانت كل القوافل التجارية تحمل إلى مراكز الجنوب الحبوب

بمختلف أنواعها، والزيوت² والتمور³ والأرز والعسل والزبيب والتين⁴، وهذا لتوفرها على

كميات ضخمة من هذه المواد⁵.

• المرجان: كان المرجان الجزائري يتم تسويقه إلى كل بلدان العالم عن طريق (الشركة

الملكية الإفريقية)، وقد كان المزابيون من المساهمين في تسويقه إلى بلاد السودان

الغربي بعد حصولهم عليه من الشركة⁶.

• البارود⁷: وهو من بين المواد التي قام المزابيون بتصديرها خارج مدينة الجزائر، نظراً

لامتلاكهم مصنعا له في مدينة الجزائر، كما كان من الصناعات المتداولة في

منشئهم⁸.

¹ - جمال قنان: نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث (1500-1830)، المؤسسة الجزائرية للطباعة، 1987، ص 102-103.

² - علي خلاصي: قصبة مدينة الجزائر، ط1، دار الحضارة، الجزائر، 2007، ج1، ص 32.

³ - العربي الزبيري: التجارة الخارجية، المرجع السابق، ص 128.

⁴ - كورين شوفاليه: الثلاثون سنة الأولى، المرجع السابق، ص 78.

⁵ - جمال قنان: المرجع السابق، ص 102-103.

⁶ - الحاج موسى بن عمر: تجار دار السلطان، المرجع السابق، ص 81.

⁷ - العربي الزبيري: التجارة الخارجية للشرق الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972، ص 128.

⁸ - ينظر إلى الفصل الثاني، المبحث الثاني.

الفصل الثالث: النشاط التجاري والاستراتيجيات الاقتصادية للمزابيين بمدينة الجزائر

• السيوف والخناجر: كان المزابي ون يروجون لمثل هذه الأسلحة الموجهة للزينة

والاستعمال الذاتي¹ حيث كانت متوفرة في جل أسواق التل².

كما تواجدت مواد أخرى كانت متوفرة في التل عموما ومدينة الجزائر خصوصا، مثل:

الأقمشة الصوفية والأغنام والعطور والخرداوت والتوابل والشواشي والشيشان و كل

المصنوعات الاوربية المستوردة³.

- السلع المزابية الواردة لمدينة الجزائر:

كانت القافلة المزابية تعد أفضل القوافل الداخلة إلى مدينة الجزائر بحكم ما تحمله

من مواد متنوعة و سلع نادرة⁴، ومن بين هذه السلع نجد:

• ريش النعام وشحمه: كان المزابيون يحملون إلى مدينة الجزائر النعام حية بالإضافة

إلى ريشها وشحمها، وهذا إما من ورقلة أو من بلاد السودان الغربي⁵، حيث يجدون

من يشتريه من اليهود وأهالي المدينة، ومن ثم يقوم اليهود بتصديره إلى ليفورن ثم إلى

فرنسا⁶، وقد شوهدت عدة مرّات نعّامات يافعة ارتقاها يصل أربعة أو خمسة أقدام⁷،

¹ - الحاج موسى بن عمر: تجار مزاب دار السلطان، المرجع السابق، ص 81.

² - فرج محمود فرج: إقليم توات خلال القرنين 14 و 18م، ديوان المطبوعات الجامعية، 2007، ص 79.

³ - العربي الزبيري: المرجع السابق، ص 128

⁴ - الحاج موسى بن عمر: تجار مزاب في دار السلطان، المرجع السابق، ص 80.

⁵ - نفسه، ص 81.

⁶ - Venture De Paradis: Op.cit., p.32.

⁷ - فندلين شلوم: قسنطينة أيام أحمد باي 1832-1837، ترجمة وتقديم أبو العيد دودو، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007، ص 101.

الفصل الثالث: النشاط التجاري والاستراتيجيات الاقتصادية للمزابيين بمدينة الجزائر

وقد كان هنالك اتفاق سنة 1154هـ/1741م بين بني مزاب والمحتسب على أن يدفع

المزابيون ضريبة تقدر بسلطانتين¹ لكل قنطار من ريش النعام².

• التوابل: تعد التوابل المستقدمة من أعماق الصحراء خير مزين للأطباق اليومية ولهذا

عمل المزابيون على استقدامها إلى مدينة الجزائر³.

• العبيد: تعود أصول أغلبهم إلى السودان⁴، وكان المزابيون الممولين الرئيسيين للعبيد

بمدينة الجزائر⁵، وقد تزايد الطلب عليهم أكبر خلال النصف الأول من القرن 17م⁶،

بسبب حاجة السكان لاستعمالهم في شتى أنواع الخدمات بالمدينة⁷، كالعمل في

البيوت والدكاكين⁸.

• التبر⁹: مكّنت السلطة العثمانية جماعة بني مزاب من استيراد التبر¹، الذي كان

يستخرج من مناجم كثيرة في بلاد السودان².

1- السلطاني: عملة جزائرية ذهبية تساوي 8.5 فرنك؛ ناصر الدين سعيدوني: النظام المالي، المرجع السابق، ص 193.

2- عبد الله بن محمد الشويهد: المصدر السابق، ص 50.

3- الحاج موسى بن عمر: تجار مزاب في دار السلطان، المرجع السابق، ص 80.

4- عائشة غطاس: الحرف والحرفيون، المرجع السابق، ص 35.

5- عمار بن خروف: المرجع السابق، ص 44.

6- جون ب. ب. وولف: المرجع السابق، ص 157.

7- كان الخدم الذين يعملون في القصر أكثر حظًا، من عمال الورشات ورجال الثقافة والقضاء، فكان ينفق في هؤلاء العبيد

100 سكة جزائرية، للخدام الذي يحمل قفطان الداوي، وترضية قد تصل إلى 20 سكة للمكلف بتحضير القهوة؛ ناصر

الدين سعيدوني: النظام المالي، المرجع السابق، ص 131.

8- جون ب. ب. وولف: المرجع السابق، ص 224.

9- التبر: هو عبارة عن خيوط تستعمل في صناعة الأقمشة، ومن بين طرق البحث عليه طريقة الفنّاجين، حيث كان

الأهالي يخرجون ليلاً وفي أيديهم فنّاجين سوداء، وكلما شاهدوا بريقاً سارعوا إليه وغطوه بها، وفي الصباح يتوجهون إلى

أمكنة الفنّاجين فيستغلون تلك الخيوط إن كانت صالحة مستعملين أدوات مغناطيسية لتصفية محصولهم؛ العربي الزبيري:

المرجع السابق، ص 127.

الفصل الثالث: النشاط التجاري والاستراتيجيات الاقتصادية للمزابيين بمدينة الجزائر

- الجمال: تشير المصادر على أن المزابيين كانوا يستوردون إلى الجزائر الجمال³، بحكم قربها من منشئهم بالصحراء، كما لم تكن كل الحيوانات باستطاعة العامة الحصول عليها إلا بأمر من الداي، الذي كان يقدمها كهدايا لإحدى الدول الأوربية كاللبنة الصغيرة والقنافذ⁴.

¹ - عمار بن خروف: المرجع السابق، ص 45.

² - نفسه، ص 127.

³ - وليام شالر: المصدر السابق، ص 112.

⁴ - هابسترايت: المصدر السابق، ص 51.

المبحث الثالث: استراتيجيات اقتصادية للمزابيين بمدينة الجزائر

1- العلاقات الطيبة مع الجماعات الحرفية:

بحكم أن جماعة بني مزاب كانت في مجال المال والأعمال، فكان لزاما عليهم أن يحتكوا ويتعاملوا مع بقية أفراد مجتمع مدينة الجزائر، خاصة وأن صنائعهم وحرفهم كانت مهمة بالنسبة لسكان المدينة¹، ولذلك عمل المزابيون في الحفاظ على علاقات اجتماعية حسنة مع الجماعات الأخرى يسودها التضامن، فكما يذكر مالك بن نبي قائلا: « وبدونها [العلاقات الاجتماعية] لا تستطيع الحياة الإنسانية أن تستمر لا أخلاقيا ولا ماديا »²، فالعلاقة مع الآخرين تدفع بعجلة الحياة إلى الاستمرار، ويشير قانون أسواق مدينة الجزائر بصورة من صور العلاقة التضامنية بين جماعة بني مزاب وأصحاب الحمامات بالجزائر: « واتفق رأيهم أن من خرج من حمام الجماعة المذكورة وتولى غيره كراء الحمام والذي خرج منه وكان المتولي من غير جماعة بني مزاب فلا يخرجون الطيابين الذي به، ولا يفسدونهم عليه ليبطل كراء الحمام الذي خرج منه ويكسد ويبخس فبذلك وقع اتفاقهم وأمرهم وانعقد كراء الحمامات من أرباحها على ذلك سنة 1110 »³.

¹ - Venture De Paradis: Op.cit.,p.14.

² - مالك بن نبي: ميلاد مجتمع، ط6، دار الفكر، سورية، 2006، ص 94.

³ - عبد الله بن محمد الشويهد: المصدر السابق، ص 91.

2- التضامن بين أفراد الجماعة الواحدة:

ذكرت في القرآن الكريم آيات كثيرة تحثّ الإنسان المسلم على التعاون والتضامن مع أخيه المسلم، فلقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾¹، إذ لم تحصر الآية سبل التعاون في ناحية معينة من نواحي الحياة، بل شملت على كل النواحي سواء الاجتماعية أو الاقتصادية وغيرها، فانطلاقاً من الآية أنشأت جماعة بني مزاب صندوق تضامن فيما بينهم، حيث يضع فيه الفرد المزابي جزءاً من أمواله كل سنة حسب استطاعته²، وهذا لتقديم يد العون لمن أصيب بنكبة في تجارته³ والتعاون لأداء ديون من يتوفون منهم، والمستحقات التي كانت تترتب على أحدهم إذا ما غاب دون أن يدفعها⁴، ولأن الإنفاق في سبيل الله لا ينقص من صاحبه شيء بل يزكي له أمواله لقلوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾⁵، وبذلك أصبح صندوق التضامن لجماعة بني مزاب يلتجئ إليه حتى الحكام العثمانيين للإقتراض منه عن طريق أمين الجماعة⁶.

ويطلعنا قانون الأسواق سنة 1163هـ/1749م بأرقى صور التعاون بين أفراد

الجماعة الواحدة، حيث تمّ الاتفاق على أنه إذا سجلت خسارة بإحدى المهن التي يمتنها بنو

¹ - سورة المائدة، الآية 2.

² - Charles Amat : Op.cit., p. 203.

³ - مختاري حساني: المرجع السابق، ج2، ص 225 .

⁴ - عمار بن خروف، المرجع السابق، ص 43.

⁵ - سورة البقرة، الآية 261.

⁶ - ناصر الدين سعيدوني: تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 237.

الفصل الثالث: النشاط التجاري والاستراتيجيات الاقتصادية للمزابيين بمدينة الجزائر

مزاب تتقاسم عبء هذه الخسارة المهن الأخرى¹، فبالتالي قد تميزت جماعة بني مزاب بالتعاون بين أفرادها وتضامنهم فيما بينهم أكثر من غيرهم من الوافدين على المدينة²، لأنهم أدركوا أن: «الإنسان الذي يمارس هذا العمل المشترك (...) يذوب في مفهومه المستحيل»³.

3- توفير المصاريف:

من الإستراتيجيات التي تمكّنا من الوصول إليها حين تعقبنا للمسار الإقتصادي للمزابيين بمدينة الجزائر، هي محاولة الإقتصاد في المصاريف وتخزينها، حيث اتبع الفرد المزابي سياسة مالية راشدة في إنفاق أمواله، حيث علم أن المال هو: «الوسيلة لاختزان العمل حتى يعود لصاحبه في حاجات أخرى أو في أيام صعبة»⁴، ويظهر هذا حين كانوا يفضلون الإقامة داخل متاجرهم ليكون المال المدفوع لكراء المتجر نفسه المستعمل في الإقامة⁵، وبهذه العقلية تمكن المزابيون من توفير أموالهم وتكديسها حتى أصبحوا يمتلكون منازل ومتاجر خاصة بهم في مدينة الجزائر بل وامتلكوا جنائن أيضا⁶، ناهيك عن ملكياتهم بوادي مزاب⁷.

4- وضوح الهدف:

¹ - عبد الله بن محمد الشويهد: المصدر السابق، ص 98

² - عمار بن خروف، المرجع السابق، ص 43.

³ - مالك بن نبي: المسلم في عالم الاقتصاد، دار الشروق، بيروت، ص 92.

⁴ - نفسه، ص 81.

⁵ - عائشة غطاس: الحرف والحرفيون، المرجع السابق، ص 336.

⁶ - عمار بن خروف: المرجع السابق، ص 42.

⁷ - Charles Amat :Op.cit.,p.203.

الفصل الثالث: النشاط التجاري والاستراتيجيات الاقتصادية للمزابيين بمدينة الجزائر

يمكن أن نطلق مصطلح الهدف على أي شيء أردنا الوصول إليه عبر خطة معينة، وهذا دون النظر إلى أهميته أو مدى صحته وخطئه¹، ولقد كان المزابيون الوافدون إلى مدينة الجزائر لهم أهداف واضحة المعالم بمجيئهم إليها ، حيث كان هدفهم من الهجرة الحصول على لقمة العيش²، ولأن الإنسان إذا وضع نصب عينه هدفا ما فإنه سيعمل جادا وبكل صرامة للوصول إلى مبتغاه³، فبهذا تمكن المزابيون أن يحققوا هذا الهدف بل وصاروا أربابا للصناعات في مدينة الجزائر⁴، كما كان الفرد المزابي له هدف اجتماعي دون هدفه الشخصي، إذ أن مجتمع وادي مزاب قد ألقى مسؤولية أو هدف آخر يضيفه الفرد المزابي المغترب إلى مجموعة أهدافه ، وهو عمارة موطنه وادي مزاب⁵، وبهذا كان التركيز على الأهداف عاملا لنجاح الأفراد والمنظمات⁶ اللذين تجسدا على المستويين الفردي والجماعي لبنى مزاب بمدينة الجزائر.

5- النزاهة وإتقان العمل:

من بين المبادئ التي يجب على الإنسان بصفة عامة أن يلتزم بها هي النزاهة في العمل وإتقانه، فالإتقان والعمل يجب أن تكون سمة أساسية في شخصية المسلم بشكل

¹ - راضية بنت قاسم جهلان: الغاية والأهداف وأثرهما في حياة المسلم، نشر مركب المنار بالحميز، المطبعة العربية، نهج طالبى أحمد غرداية، 2004، ص13.

² - ينظر إلى الفصل المدخلي، المبحث الثالث.

³ - راضية بنت قاسم جهلان: المرجع السابق، ص23.

⁴ - إبراهيم بن بيحمان المصعبي: المصدر السابق، ص 16.

⁵-Charles Amat :Op.cit.,p.203.

⁶- راضية بنت قاسم جهلان: المرجع السابق، ص23.

الفصل الثالث: النشاط التجاري والاستراتيجيات الاقتصادية للمزابيين بمدينة الجزائر

خاص، لأنها من وصايا دينه لقوله تعالى: ﴿وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ

وَالْمُؤْمِنُونَ﴾¹، أما بخصوص جماعة بني مزاب بمدينة الجزائر فقد كانت هنالك عدة شهادات

رواها المؤرخون عنهم، على أنهم كانوا جديين ويتقنون العمل الموكل إليهم، كوليام شالر

الذي قال: «والمزابيون قوم هادؤون نشيطون في التجارة ومشهورون بالأمانة والنزاهة في

الأعمال»²، ويضيف كذلك ديبغو دو هايدو: «المزابي صادق عموم ورزين ويأكل كثيرا ولا

يسكر ويهتم فقط بتجارته و بسببها أصبح ثريا»³، ولقد أدرك الفرد المزابي بمدينة الجزائر

مغزى هذا الأمر الإلهي حيث جعل الله تعالى لمن يحسن العمل أطيب الجزاء في الدنيا

والآخرة والعكس كذلك، لقوله تعالى: ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾⁴، وهذا ما وجدناه

في المسار الإقتصادي للمزابيين حيث استطاعت أن تتنزع التقدير والاحترام من الحكام

والمحكومين⁵ وتحصلت على امتيازات اقتصادية كثيرة.

ومن خلال ما سبق يمكننا القول أن النشاط التجاري للمزابيين بمدينة الجزائر، اختلف

نوعا ما عن باقي النشاطات الأخرى لهم في المدينة، سواء في المجال الخدماتي أو

الصناعي، حيث وجدنا أن تجارة المزابيين داخل المدينة، كانت تمارس دون احتكارت تقدّمها

لهم السلطة العثمانية بالجزائر، بل كانت لهم امتيازات جزاء إتقانهم وتقانيهم في العمل، أما

على المستوى التجارة خارج مدينة الجزائر سواء داخل الإيالة أو خارجها، فقد اعترفت لهم

¹ - سورة التوبة، الآية 105 .

² - وليام شالر: المصدر السابق، ص 111.

³ - Diego De Haëdo: topographie et histoire générale d'Alger, Op.cit., p.196.

⁴ - سورة النمل، الآية 90.

⁵ - عمار بن خروف: المرجع السابق، ص 45.

الفصل الثالث: النشاط التجاري والاستراتيجيات الاقتصادية للمزابيين بمدينة الجزائر

السلطات العثمانية بالوساطة في تجارة القوافل لمعرفةهم بخباياها وأسرارها ولوفائهم الدائم للسلطة.

كما رأينا أن اقتصاد المزابيين بمدينة الجزائر مبني على أسس مقننة وشرعية، فنظموا علاقاتهم مع غيرهم من المتساكنين في المدينة، واتبعوا مبدأ المسؤولية الجماعية في تجارتهم، وساروا وفق أهدافهم المسطرة منذ بداية هجرتهم من وادي مزاب.

خاتمة

حاولنا في موضوعنا تقديم دراسة تاريخية للنشاط الاقتصادي لجماعة بني مزاب، إحدى فئات مجتمع مدينة الجزائر المتواجدين فيها خلال الفترة العثمانية، حيث توصلنا إلى عدة استنتاجات، أهمها:

أولاً: الظروف الطبيعية القاسية التي عاشها المزابيون بوادي مزاب، والتي كانت من بين أكبر الأسباب التي أرغمتهم على التنقل خارجه إلى مدن التل وعلى الخصوص مدينة الجزائر، لاجتماع عدة عوامل سياسية وتاريخية واقتصادية فيها، وهذا ما يدعونا للقول أن اختيارهم في ذلك كان صائبا وحكيما.

ثانياً: كان للعلاقة الطيبة بين المزابيين والسلطة العثمانية وتوفر فرص الشغل بالمدينة، أثرا بارزا في تزايد وفود المزابيين لمدينة الجزائر، إضافة إلى السمة البارزة التي تميّز بها النظام العثماني والمتمثلة في التسير الدقيق للمدينة، وإعطاء الحرية للفرد في العمل شريطة انصياعه للقوانين وعدم المس بلأمن والاستقرار.

ثالثاً: أخذ المزابيون بعين الاعتبار مبدأ المساهمة في الجهاد الإسلامي ضد الغزاة أثناء تواجدهم بالمدينة، فكان لهذه المبادئ أثرا ايجابيا كبير على العلاقة بين المزابيين والسلطة العثمانية وفوائد اكتسبها المجتمع المزابي فيها، حيث منحت لهم امتيازات اقتصادية مهمة ساهمت في توطيد وجودهم وامتلاك عقارات خاصة بهم.

رابعا: كان لتواجد الأمين المزابي بمدينة الجزائر والحظوة الكبيرة التي تمتع بها لدى السلطة العثمانية التي اكتسبها من خلال اسهاماته، تأثير مهم على جماعته، بحيث ساهم

في التسيير الحسن والمحنك لها والحفاظ على العلاقة بين أفراد الجماعة الواحدة ومع بقية الجماعات الأخرى.

خامسا: كانت السلطة العثمانية لها مبدأ خاص في التعامل مع الجماعات الحرفية بمدينة الجزائر، حيث كانت تعمل بمبدأي الأفضلية ومنح الامتيازات، متخذة في ذلك معايير أهمها الولاء والطاعة للسلطة، والتفاني والجودة في العمل، وهو ما توفر في جماعة المزابيين بشهادة المؤرخين.

سادسا: منحت السلطة العثمانية عدة احتكارات اقتصادية للمزابيين في مجالات عديدة، إلا أنّ ذلك لم يمنع من تخصصهم في مجالات أخرى، وهذا ما لمسناه حين أحصينا أنشطتهم، فقد عملوا في تخصصات عديدة من الجانب الحرفي والخدماتي، وكذلك في العمل التجاري بالمدينة، والتجارة بين داخل الإيالة وخارجها.

سابعا: تمكن المزابيون من فرض أنفسهم في مجتمع مدينة الجزائر كفئة مؤثرة في اقتصادها، بفضل تحكمهم واحتكارهم لبعض الأنشطة الاقتصادية المهمة التي تمثل عصب الحياة في المدينة، دون غيرهم من الجماعات الأخرى.

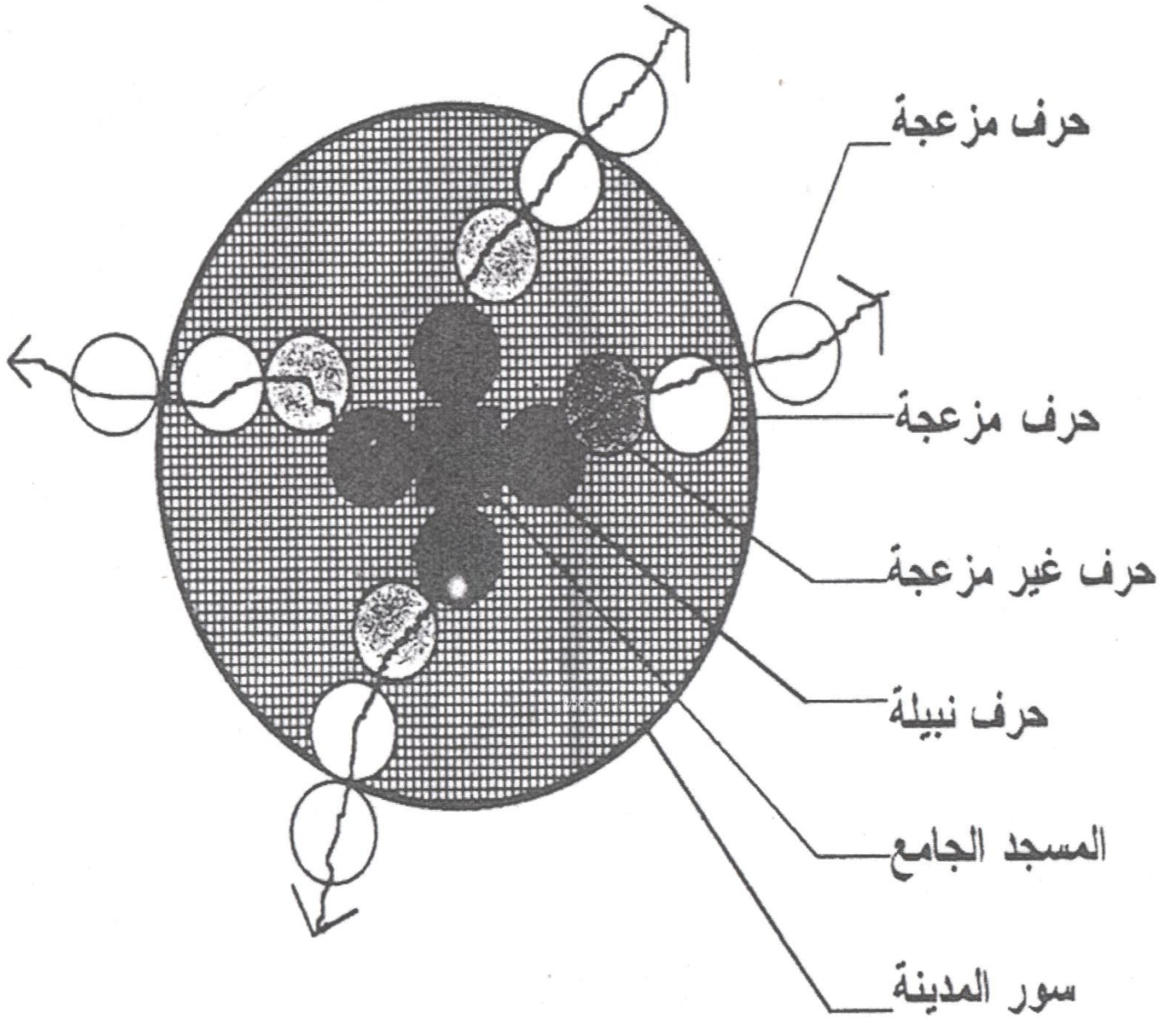
وأثناء دراستنا للموضوع اصطدنا ببعض التناقضات والإشكالات التي لم نجد لها جوابا مقنعا، حيث أنه ورغم المكانة والامتيازات التي كانت مجتمعة لدى الفرد المزابي مع مرور الزمن بمدينة الجزائر، والتي من الممكن أنه لن يجدها حتى في بلدته الأصلية بوادي مزاب، إلا أنه آثر البقاء في مدينة الجزائر والاستقرار فيها بعائلته وأولاده، حيث بقي منتقلا

بين مقر عمله ومستقر عائلته بوادي مزاب، فهل هذه الحالة من التّرحال، كانت فقط لأجل احترام أوامر حلقة العزابة بوادي مزاب؟ أم هنالك عوامل أخرى قد تكون السبب في ذلك.

وفي الأخير نرجو أن يكون هذا العمل إضافة في المكتبة التاريخية الجزائرية الخاصة بالعهد العثماني، ونرجو أن يتم التعمق أكثر في هذا الموضوع لحدثته وأهميته، فلا تزال الوثائق الأرشيفية العثمانية تضم معلومات كثيرة عن تواجد المزابيين بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني.

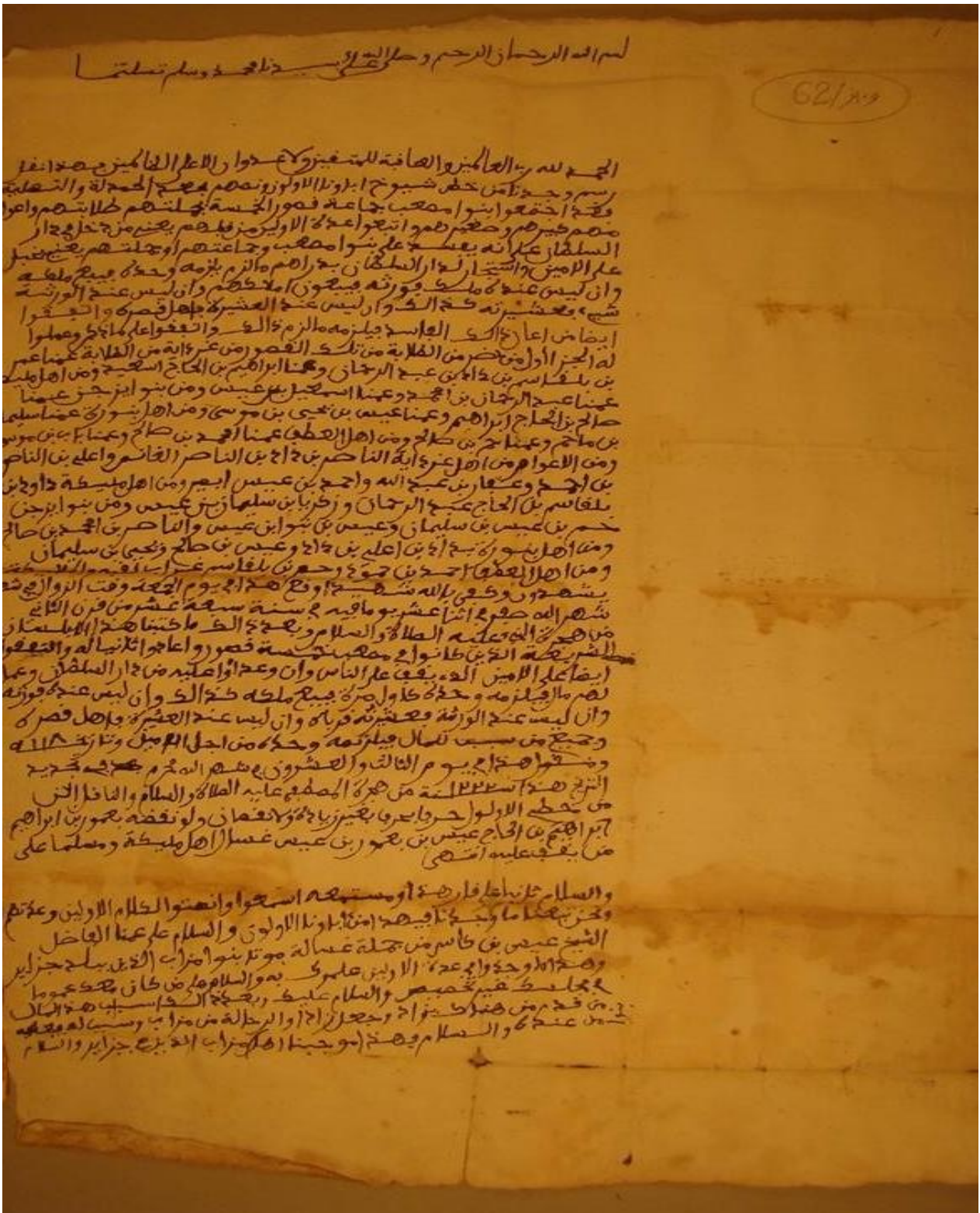
قائمة الملاحق

ملحق (01): نموذج الشيزاري في توزيع الحرف.



المصدر: مصطفى أحمد بن حموش، المدينة والسلطة في الاسلام، المرجع السابق،

ص174.



ملحق (03): بيان ما قدمه المزايون من مواد بناء للسلطة العثمانية بمدينة الجزائر
سنة 1150هـ-1737م:

"الحمد لله بيان ما قدمه لنا ابن مزاب الترين [كذا] سنة خمسون ومائة والى 1150".

كریش	كریش	كریش	ثراب	ثراب	ثراب
401	016	016	330	112	003
032	024	002	186	065	020
024	016	003	055	030	024
057	032	144	032	036	004
032	022	164	026	000	060
554	157	182	305	112	225
004	162	016	022	037	008
014	048	002	106	016	035
004	014	028	008	016	008
002	005	005	352	004	017
583	008	008	711	011	004
016	324	288	160	254	773
040	030	008	058	007	016
052	1200	048	011	028	058
007	0048	521	012	008	074
007	0011	031	035	005	008
1214	2730	3606	4166	2541	3205 المجموع

خالص في هذا الحساب كله

المصدر: أ.و.ج/س.ب/ع 30.س.252.

ملحق (04): صورة لمزايي «حمامجي» (عامل في الحمام).



المصدر: عبد الله بن محمد الشويهد: المصدر السابق، ص 217.

ملحق (05): عقد بيع متجر مزابي معد لبيع اللحم.

الحمد لله بعد ان كل ما تعمير ملكا من جملة أملاك جماعة بني مصاب جميع جلسة الحانوت المعدة لبيع اللحم الكاينة قرب سوقية عمور داخل محروسة الجزائر المقابلة لمسجد لولي الصالح سيد سليمان الشراتي نفعا الله ببركاته (...) كذلك حضر فلان (...) شهيدين وبالمحكمة المالكية في بلد الجزائر المحمية فالله تعالى أمام قاضيه الشيخ الإمام العالم العلامة (...) ومع عيسى الفكاه ابن ابراهيم مليكي وعيسى بن أيوب معه وداوود ابن محمد (...) وسعيد (...) وعيسى بن مسعود وسليمان بن داود معه ويحي بن أحمد بنوري وعيسى (...) وسليمان بن ابراهيم العطاوي ويوسف بن أيوب وعمر بن صالح، وأشهدو شهيدا على أنفسهم أنهم باعوا كلهم صفقة واحدة وعقد واحد والمكرم ابراهيم أمين جماعة بني مصاب في (...) بن موسى جميع جلسة الحانوت المذكورة (...) من جميع المفاسد كلها (...) بأسرها أواخر رمضان 1228هـ.

المصدر: أ.و.ج/ س.م.ش/ ع63. و23.

قائمة المصادر والمراجع

1/ المصادر:

أ . القرآن الكريم:

(1) سورة البقرة، الآية 261.

(2) سورة التوبة، الآية 105.

(3) سورة المائدة، الآية 2.

(4) سورة النمل، الآية 90.

ب . الوثائق الأرشيفية:

(1) الأرشيف الوطني الجزائري: سلسلة البايك، ع 19. س 104.

(2) الأرشيف الوطني الجزائري: سلسلة البايك، ع 19. س 105.

(3) الأرشيف الوطني الجزائري: سلسلة البايك، ع 19. س 106.

(4) الأرشيف الوطني الجزائري: سلسلة البايك، ع 21. س 118.

(5) الأرشيف الوطني الجزائري: سلسلة البايك، ع 21. س 117.

(6) الأرشيف الوطني الجزائري: سلسلة البايك، ع 23. س 146.

(7) الأرشيف الوطني الجزائري: سلسلة البايك، ع 23. س 152.

(8) الأرشيف الوطني الجزائري: سلسلة البايك، ع 30. س 252.

(9) الأرشيف الوطني الجزائري: سلسلة البايك، ع 30. س 253.

(10) الأرشيف الوطني الجزائري: سلسلة المحاكم الشرعية، ع 63. و 23.

(11) الأرشيف الوطني الجزائري: سلسلة المحاكم الشرعية، ع 14. و 33.

ج . الوثائق المخطوطة:

- (1) ابراهيم مطياز: تاريخ مزاب، مخطوط بحوزة عائلة المؤلف بقصر بني يزقن .
- (2) أبو عمار عبد الكافي: سير الحلقة، مخطوط بمكتبة الشيخ عمي سعيد، غرداية، الطبعة الحجرية.
- (3) اتفاق بين القصور الخمسة بشأن المزابيين بدار السلطان، مخطوط بخزانة آل باحرز بغرداية، الرقم 62.
- (4) مجهول: رسالة من أحد أعيان المدينة المزابيين إلى السلطات الفرنسية، مخطوط بمكتبة السيد عبد الرحمن حواش، ملف Occupation، رقم 1324/1.
- (5) محمد بن يوسف اطفيش: الرسالة الشافية، مخطوط بمكتبة الشيخ عمي سعيد، طبعة حجرية، 1326هـ.

د . الكتب:

- المنشورة باللغة العربية:

- (1) ابراهيم بن بجمان: رحلة المصعبي، تحقيق يحيى بن بهون حاج امحمد، ط 1، مطبعة MPS، غرداية، 2006م.
- (2) أبو العباس أحمد الدرجيني: طبقات المشايخ بالمغرب، تحقيق إبراهيم محمد طلاي، ط2، ج1.
- (3) أبو العباس أحمد الشماخي: كتاب السير، تحقيق محمد حسن، ط 1، دار المدار الإسلامي، ليبيا، 2009م، ج2.

4) أبو زكرياء يحيى بن أبي بكر: كتاب سير الأئمة وأخبارهم، تحقيق إسماعيل العربي، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1979م.

5) أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي: جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط5، دار المعارف، القاهرة، 1982، ج2.

6) الأغا بن عودة المزاربي: طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تحقيق يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ج1.

7) ج. أو. هابنسترايت: رحلة الألمانى ج. أو. هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس (1145هـ/1732م)، ترجمة ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، تونس.

8) الحاج ابن الدين: رحلة الأغواطي، تحقيق أبو القاسم سعد الله، طبعة خاصة، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.

9) الحاج أحمد الشريف الزهار: مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار (نقيب أشرف الجزائر)، تحقيق أحمد توفيق المدني، موفم للنشر، الجزائر، 2011.

10) الحسن الوزان: وصف إفريقيا، ترجمة محمد حاجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1983، ج2.

11) حسين بن رجب شاوش ابن المفتي: تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها، جمع فارس كعوان، ط1، بيت الحكمة، الجزائر، 2009.

12) حمدان بن عثمان خوجة: المرأة، تحقيق محمد العربي الزبيري، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2006.

13) سيمون بفايفر: مذكرات جزائرية عشية الاحتلال، ترجمة أبو العيد دودو، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

14) عبد الرحمن ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون المسمى بديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2000م، ج2، ج7.

15) عبد الله بن محمد الشويهد: قانون أسواق مدينة الجزائر (1107-1117هـ/1625-1705م)، تحقيق ناصر الدين سعيدوني، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2006.

16) مارمول كريبخال: إفريقيا، ترجمة محمد حجي وآخرون، الجمعية المغاربية للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، المغرب، 1989، ج 3.

17) وليام شالر: مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر، تعريب إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م.

18) ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977، م5.

- المنشورة باللغة الفرنسية:

- 1) A.Devoulx: Tachrifat recueil de notes Historiques sur l'administration de l'ancienne Régence d'Alger, Imprimerie du gouvernement, Alger, 1852.
- 2) Diego De Haëdo: Histoire Rois d'Alger, traduite et annotée par H-D De Grammont, Adolphe Jourdan, Lipraire - éditeur, Alger, 1881.
- 3) Diego De Haëdo: Topographie et Histoire Générale d'Alger, imprimé à valla dolid, 1612.
- 4) Le Générale Daumas: Moeurs et Coutumes de l'Algerie (Tell-Kabylie- Sahara), liprairie de. L. hachette, Paris, 1853.

2/ المراجع:

- المنشورة باللغة العربية:

- 1) ابراهيم بكير بحاز: الدولة الرستمية 160-296هـ / 777-909م (دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية)، منشورات ألفا، الجزائر، 2010م.
- 2) أحمد توفيق المدني: جغرافية القطر الجزائري، مكتبة الشريفي، 1948.
- 3) أحمد توفيق المدني: حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.
- 4) أحمد عبد الرحيم مصطفى: أصول التاريخ العثماني، ط 2، دار الشروق، القاهرة، 1993.
- 5) اسماعيل العربي: الصحراء الكبرى وشواطئها، مؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1982.

6) بسام العسلي: خير الدين بربروس والجهاد البحري (1470-1547م)، ط 1، دار النفائس، بيروت، 1980.

7) بكير بن سعيد أعوش: مزاب يتكلم تاريخيا وعقائديا واجتماعيا، المطبعة العربية، غرداية، 1993.

8) جمال قنان: نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث (1500-1830)، المؤسسة الجزائرية للطباعة، 1987.

9) جون. ب. وولف: الجزائر وأروبا (1500-1830)، ترجمة وتعليق أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

10) حمادي الساحلي: الدولة الصنهاجية (تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م)، ط 1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1992م، ج 1.

11) حمو محمد عيسى النوري: دور المزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا، مطبعة البعث، م 1.

12) حنفي هلايلي: أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط 1، دار الهدى، الجزائر، 2008م.

13) دليلة خبزي: الآراء الكلامية لأبي يعقوب الوجلاني، ط 1، مكتبة مسقط، عمان، 2009.

14) راضية بنت قاسم جهلان: الغاية والأهداف وأثرهما في حياة المسلم، نشر مركب المنار بالحميز، المطبعة العربية، نهج طالبي أحمد غرداية، 2004.

15) زاهر الحجري: الإباضية في الغرب الإسلامي، ط 1، مكتبة الجيل الواعد، عمان، 2012.

16) زكرياء مفدي: أضواء على وادي ميزاب ماضيه وحاضره، تحقيق إبراهيم بحاز، ط 1، منشورات ألفا، الجزائر، 2010م.

17) صالح عباد: الجزائر خلال الحكم التركي (1514-1830)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2005.

18) عائشة غطاس: الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830م (مقارنة اجتماعية اقتصادية)، منشورات ANEP، 2007.

19) عبد الحميد أشنهو: دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر، الطبعة الشعبية للجيش، الجزائر.

20) عبد الكريم الماجري: هجرة الجزائريين والطرابلسية والمغاربة الجواننة إلى تونس (1831-1937م)، ط 1، الشركة التونسية للنشر وتنمية فنون الرسم، تونس، 2010م.

21) عثمان الكعاك: موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي، تقديم ومراجعة أبو القاسم سعد الله وآخرون، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003م.

22) العربي الزبيري: التجارة الخارجية للشرق الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972.

- (23) عزيز سامح التري: الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة محمود علي عامر، ط1، دار النهضة العربية، لبنان، 1989.
- (24) علي خلاصي: قصبة مدينة الجزائر، ط1، دار الحضارة، الجزائر، 2007، ج1.
- (25) علي عبد القادر حليمي: مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830، ط1، المطبعة العربية لدار الفكر الاسلامي، الجزائر، 1972.
- (26) علي يحيى معمر: الإباضية في موكب التاريخ، مراجعة الحاج سليمان بابزبز، ط3، مكتبة الضامري، سلطنة عمان، 2008م.
- (27) علي يحيى معمر: الإباضية في الجزائر، تصحيح أحمد أوبكة، المطبعة العربية، غرداية، ج2، ص 436.
- (28) فرج محمود فرج: إقليم توات خلال القرنين 14 و 18م، ديوان المطبوعات الجامعية، 2007.
- (29) فندلين شلوم: قسنطينة أيام أحمد باي 1832-1837، ترجمة وتقديم أبو العيد دودو، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007.
- (30) كورين شوفالييه: الثلاثون السنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر (1510-1541م)، ترجمة جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية، 2007.
- (31) مالك بن نبي: المسلم في عالم الاقتصاد، دار الشروق، بيروت.
- (32) مالك بن نبي: ميلاد مجتمع، ط6، دار الفكر، سورية، 2006.

- (33) مبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم محمد الميلي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ج2.
- (34) محمد العبد، طارق عبد الحليم: المعتزلة بين القديم والحديث، ط 1، دار الأرقم، برمنغهام، بريطانيا، 1997.
- (35) محمد علي دبوز: نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ط 1، المطبعة التعاونية، القاهرة، 1965م، ج1.
- (36) محمد ناصر: الشيخ القرافي حياته وآثاره، المطبعة العربية، غرداية، 1990م، الحلقة الأولى.
- (37) محمد ناصر: حلقة العزابة ودورها في بناء المجتمع المسجدي، دار النصر للطباعة الإسلامية، القاهرة، 1990م.
- (38) مختار حساني: موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية (مدن الجنوب)، ط 2، دار الحكمة، الجزائر، 2012م، ج2.
- (39) مصطفى أحمد بن حموش: المدينة والسلطة في الإسلام (نموذج الجزائر في العهد العثماني)، ط1، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، دبي، 1999.
- (40) مصطفى أحمد بن حموش: فقه العمران الإسلامي من خلال الأرشيف العثماني الجزائري (956هـ-1246هـ / 1549م-1883م)، ط2، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، 2002م.

41) المهدي بوعبدلي: تاريخ المدن، ط 1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، م2.

42) المهدي بوعبدلي: تاريخ المدن، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 1، 2013، م2.

43) موسى لقبال: الحياة اليومية لمجتمع المدينة الإسلامية من خلال نشأة وتطور نظام الحسبة المذهبية في المغرب العربي، ط1، دار هومة، الجزائر، 2002.

44) ناصر الدين سعيدوني: الحياة الريفية بإقليم مدينة الجزائر (دار السلطان) أواخر

العهد العثماني (1791-1830)، طبعة خاصة، دار البصائر، الجزائر، 2013.

45) ناصر الدين سعيدوني: النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني (1792-1830م)، ط3، دار البصائر، الجزائر، 2012.

46) ناصر الدين سعيدوني: تاريخ الجزائر في العهد العثماني، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.

47) يحي بوعزيز: تاريخ إفريقيا العربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر.

48) يوسف بن بكير الحاج سعيد: تاريخ بني مزاب (دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية)، ط3، المطبعة العربية، غرداية، 2014م.

- المنشورة باللغة الفرنسية:

1) Auguste Mouliéras: Les Beni-iscuen (MZAB), Imprimerie Fouqué.C. Petit Fanal, Oran, 1895, partie 1.

- 2) Charles Amat: Le M'zab et Les M'zabites, librairie coloniale, Paris,1888, partie1.
- 3) E. pellissier de Reyneud: Annales Algérienne, Librairie militaire.
- 4) Esmaël Hamet: Histoire du Maghreb, Editions Ernest Leroux, Paris, 1923.
- 5) M.Walsin Esterhazy: De la Domination Turque dans l'ancienne régance d'Alger, Librairie de charles gosselin, Paris,1840.
- 6) Salah Bafouloulou: Ghardaia La Mystérieuse, imprimerie des oasis, 2013.
- 7) Venture De Paradis: Alger au 18 siècle (1739-1799),Typographie Adolphe Jordan, Alger,1898.

ج . الأطروحات الجامعية:

- 1) بودواية مبخوت: الحركة العلمية في إقليم توات خلال القرن 08-10 هـ ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، قسم التاريخ، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2011-2012م، ص11.
- 2) محمد وقاد: جماعة بني مزاب وتفاعلاتها الاقتصادية والاجتماعية بمدينة الجزائر أواخر العهد العثماني (1700-1830م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، الجزائر، 2009-2010م، ص 91.

3) يحي بوراس: العمارة الدفاعية في منطقة وادي مزاب (نموذج قصر بني يزقن)،
مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، قسم علم الآثار، جامعة الجزائر،
2001-2002م، ص8.

د . المقالات في المجلات:

- باللغة العربية:

- 1) ابراهيم بحاز: المزايون المعتزلة، مجلة الحياة ، ع 1، جمعية التراث، غرداية،
1998م.
- 2) الحاج موسى بن عمر: تجار مزاب في دار السلطان (خلفيات الحضور الاقتصادي
والنفوذ السياسي)، مجلة الحياة، العدد 19، جمعية التراث، غرداية ، الجزائر، 2015.
- 3) الحاج موسى بن عمر: مزاب في العهد العثماني (1510-1830م)، مجلة الحياة،
العدد 12، جمعية التراث، غرداية، الجزائر، 2008 .
- 4) زكية بوطبة: طبيعة النظام العثماني بالجزائر وعلاقته بالشعور القومي العربي من
خلال نموذجين للثورات الداخلية بالجزائر، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية ،
العدد 5 و6، 1992.
- 5) عائشة غطاس: التجار الجزائريون من خلال سجلات القنصلية الفرنسية (1636-
1830)، المجلة التاريخية المغربية، العددان 61 و62، تونس، 1991.

- (6) عمار بن خروف: جماعة بني مزاب في مدينة الجزائر في العهد العثماني 1520-1830 (تنظيمها- نشاطها- علاقاتها)، مجلة الواحات للبحوث والدراسات ، العدد 1، المركز الجامعي بغرداية، غرداية، الجزائر، 2006.
- (7) محمد بوشنافي: صناعة الخبز ومقوماته في الجزائر خلال العهد العثماني (1520-1830م)، مجلة المواقف ، العدد 1، منشورات كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة مصطفى اسطمبولي، معسكر، ديسمبر 2015.
- (8) مؤيد محمود حمد المشهداني وسلوان رشيد رمضان: أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني (1518-1830)، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية ، العدد 16، جامعة تكريت، العراق، 2013.
- (9) ناصر الدين سعيدوني: الإدارة العثمانية في الأرياف الجزائرية (نموذج مقاطعة دار السلطان)، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية ، العدد 5 و 6، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق، زغوان، الجمهورية التونسية، 1992.
- (10) ناصر بالحاج: التنظيمات الفرنسية للجماعات الحرفية والإثنية غداة الاحتلال (حالة جماعة بني مزاب)، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 40، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2013.
- باللغة الفرنسية:

1) Lespés(r): Quelques documents Sur la corporation des Mozabites dans les premiers temps de conquête (1830-1838), **Revue Africaine**, n° 66, A. Jourdan, Libraire-Éditeur, Alger, 1925, p.198.

2) Motylinsky (A. De C) : Notes Historiques Sur Le Mzab Guerara depuis sa fondation, **Revue Africaine**, n° 28, A. Jourdan, Libraire-Éditeur, Alger, 1884.

هـ . المعاجم:

1) مجموعة من الباحثين: معجم مصطلحات الإباضية، ط2، دار الوعي للنشر والتوزيع،

الجزائر، 2012م، ج1.

2) مصطفى بن صالح باجو وآخرون: معجم أعلام الإباضية من القرن الأول الهجري

إلى العصر الحاضر، مراجعة محمد صالح ناصر، طبعة خاصة، عالم المعرفة، الجزائر،

2009، ج2.

فهرس الموضوعات

1	مقدمة.....
10	فصل مدخلي: بنو مزاب وتواجدهم بمدينة الجزائر.....
11	المبحث الأول: نسب المزابيين وأصلهم.....
17	المبحث الثاني: النظم الدينية والاجتماعية بوادي مزاب.....
23	المبحث الثالث: تاريخ استقرار المزابيين بالتّـلّ عموما، ومدينة الجزائر خصوصا.....
30	الفصل الأول: التنظيم الاقتصادي لمدينة الجزائر، وعوامل توطيد نشاط المزابيين بها ...
31	المبحث الأول: التنظيم الاقتصادي لمدينة الجزائر.....
43	المبحث الثاني: المزابيون والإخوة بربروس.....
47	المبحث الثالث: استمرار ولاء المزابيين للسلطة العثمانية.....
52	المبحث الرابع: دور الأمين المزابي.....
55	الفصل الثاني: النشاط الحرفي والخدماتي للمزابيين بمدينة الجزائر.....
56	المبحث الأول: النشاط الحرفي.....
75	المبحث الثاني: النشاط الخدماتي.....
84	الفصل الثالث: النشاط التجاري والاستراتيجيات الاقتصادية للمزابيين بمدينة الجزائر
86	المبحث الأول: تجارة المزابيين بمدينة الجزائر.....
91	المبحث الثاني: التجارة الخارجية لمزابيي مدينة الجزائر.....
98	المبحث الثالث: استراتيجيات اقتصادية للمزابيين بمدينة الجزائر.....
104	خاتمة.....
108	قائمة الملاحق.....

114.....	قائمة المصادر والمراجع
129.....	فهرس الموضوعات